

# المسرح

## مقدمة

الكتابة للمسرح تعني أن مسرحا موجودا ولو على سبيل الافتراض، أي أن جمهورا مشاهدا للعرض، يمكن أن يكون موجودا. ومعنى طرح هذين الوضعين، كافتراض، لا يعني التشكيك في وجود ثقافة للعرض والمشاهدة بالمغرب، وتاريخ لهما، وأعمال مسرحية طالما استمتعنا بها كما استمتع بها الجمهور، بل إن ذلك يعني نوعا من الاحتراز والتحفظ على حساسية الإنتاج والتلقي، فمعلوم أن المسرح فرجة، وهو بذلك أيضا، خطاب ثقافي وجمالي، أي أنني لا أحب أن أقول كما كان يقول الجيل السابق من الرواد، إنه رسالة، فقد كانت العبارة تستعمل بمعنى أخلاقي وتربوي وتعليمي، وإن قلتها فهو رسالة بالمعنى اللساني للكلمة، أي أن هذه الرسالة، لها مرسل، ومستقبل، ولكن ما العلاقة بينهما، وما هو المبتوث في الرسالة؟ لاشك أن كل مؤلف للمسرح، أو أن كل مسرح، إن كان التأليف فيه جماعيا، فهو يسعى لبناء عالم واقعي تخيلي، وعلى سبيل المحاكاة، سواء أكانت مجرد محاكاة أو محاكاة ساخرة، فهو يرصد، وينتقد، ويتوقع، أي أنه يمارس فعلا للوعي الاجتماعي والسياسي، وفي هذه الممارسة، وطرائق ممارستها، يكثر الكثير من الزعيق، والشعارية، والخطابية، والتظاهر بالرفض، كما يحضر المجتمع، وكأنه سطح، لا عمق، فاللحظات الاجتماعية في بعض الممارسات المسرحية، تتحول لتفكير لمجتمع هو في الأصل غني بطوقسه ورموزه وعاداته، كما يمكن أن يغتني على صعيد آخر، بطرائق تصويره للناس على الخشبة، عندما يتحول من مواد واقعية معاشة إلى مواد تقدم نفسها كجمالية للمشاهدة. وبالطبع، فقد تحققت هذه القيم في مسارح كثيرة بالمغرب، وعبر رجال ونساء للمسرح، بينما ظلت مظاهر تسطيح الواقع وقبح العروض سائدة في مسارح أخرى، لم تتشأ لها الظروف أن تتطور، وأن تدخل في منافسة على جودة العروض، بما الجودة هي تدفق شعوري مؤثر على المشاهد، من حيث إغناء العرض بطاقات تعبيرية جمالية مدركة للعالم، وهو ما يحدث الأثر، النفسي والسياسي والاجتماعي لدى المشاهد، بينما الرداءة تبقى مسفة لا تملك أثرها إلا على مواطنين سذج، هم في الغالب ليسوا جمهورا للمسرح أمام مزاحمة أخرى لرداءة أخرى تمنح بدون تذكرة. لذلك، يظل الاقتراب من المسرح، كتابة وإخراجا وإنتاجا وفرجة، عملا نخويا، ولا عيب في ذلك، فهو الحال في أوروبا وفي كل الدول المتقدمة، ولكن العيب، هو ألا يكون لنا مسرح، وإذا كان، أن يكون بدون بناية وطاقت تقنية، بل بدون أناس حقيقيين يفنون ذواتهم من أجل لحظة الوقوف على الخشبة، قصد تقديم الفرجة، إلا قليل. ولكن أية فرجة، ما هي خطاباتها الاجتماعية والدلالية، وتعبيراتها الجمالية، وما هي حدود تشخيص العوالم، وأية عوالم؟ كأي أدخل سوقا لا بضاعة لي فيه، أو هكذا أرادني كثيرون، عندما استنكروا علي أن أكتب للمسرح، معتقدين بأهمية الوفاء من قبل الكاتب لما بدأ يكتب فيه، فالشاعر لا يكتب مسرحية شعرية إلا لكي

يفشل فيها وهي لا تعرض، والروائي أو القاص لا عليه أن يدخل دوامة المشاهد، من حيث التقنيات التي تتعلق بالأداء للمشاهدة، فهو سارد حتى وإن كان ينوب عنه سارد أو سراد، أي أنه كاتب للسرد، ولا يمكنه أن يحول السرد إلى مشاهد معروضة، وإن فعل ذلك في قصصه ورواياته فهو من قبيل التقنية، لا من قبيل أن يلج مجال العرض الحقيقي، على خشبة المسرح، والذي هو استعراض، تحضر فيه عدة مكونات إنتاجية، منها رؤية المخرج، وأداءات الممثلين. لم تروني هذه الأفكار، لسبب بسيط وهو أن كل تجل للحظة إبداعية يمكنه، أو هو يفرض، طريقة وجودها، والطرائق تختلف، بل تتنوع في اختلافها، واللحظة المبدعة لا توجد في أصل بدني إلا كإنتاج، أي أنها يمكن أن تصاغ بعدة صياغات، وعبر أنواع أو أجناس أدبية ممكنة، لتقريب إمكاناتها من وجودها. هنا يحضر سؤال الكتابة في أجناس تعبيرية وأدبية أخرى: الرواية، القصة القصيرة، الشعر، كتابة المذكرات، الكتابة المتحررة من التجنيس، والتي تبحث عن تجنس في الكتابة. بحضور هذا السؤال، حول مدى ضرورة وأهمية توسيع مجالات الكتابة، يحضر سؤال آخر: لماذا يأتي الروائي، والقاص، المعروف لدى القراء باختباره لهذين الجنسين الأدبيين، وعلى مستوى السرد، إلى مجال المسرح؟ في اعتقادي أن ليس ثمة من تطفل، أو اقتحام لمجال اختصاص هو من حق الآخرين وليس من حق الذات المبدعة، ذلك أن الذات بما هي مبدعة لا تقيم في حدود تجنيسية ولا في حدود جغرافية ضيقة للكتابة، ولا في مفاهيم جامدة، لأنها لا تكون مبدعة إلا من حيث هي تتحرر، سواء في تعاملها مع الأجناس الأدبية أو في تعاملها مع الواقع، ومن حيث يصبح هذا التحرر مساحة لحرية الكتابة، وحرية تعبيرها عن الذات والمجتمع، وخلقها للأشكال هذا التعبير. روائيون عالميون كبار كتبوا في هذه الفنون جميعا، بل إن حركات أدبية عالمية قد نهضت على قضايا كبرى تتعلق بماهية الفن والأدب ودورها في المجتمع وطرائق تعبيرهما عن هزات الواقع وتوتراته وقلقه وتطلعاته، شارك فيها روائيون إلى جانب تشكيليين وسينمائيين ورجال للمسرح. لم أنتقل من كتابة القصة القصيرة إلى كتابة الرواية إلا من حيث الرغبة في توسيع قاعدة المحكي. لكن انتقالي من كتابة السرد الأدبي، إلى الكتابة للمسرح، كان واعيا بمخاطرة التجربة، أي بنقل المحكي إلى المشاهد، وهذه خصيصة جمالية فنية أعتقد أن تقيّمها يرجع إلى المشاهدين وإلى نقاد المسرح. بينما هناك عامل آخر، هو ضيق مساحة القراءة والقراء، ولذلك، فقد أردت لإبداعاتي أن تتوسع لدى الجمهور، عبر المشاهدة، كما فعلت ذلك من خلال كتابة سيناريوهات لعدة أفلام، وكما أنجزت كتابة أزيد من خمسين قصة للأطفال، محاولا أن أدرك طبيعة الخواص الكتابية لهذه الفنون، ومحاولا أيضا، أن أستعمل تقنياتها النصية، التي تجعل منها ما يمكن أن يعتبر سيناريو بالفعل، أو قصة للأطفال، بالفعل. وهل من بحث عن جماليات تعبيرية فنية يمكن أن يستقر في حال تعبيرية؟ لا يمكن. فعندما تصير الكتابة بحثا مضاعفا، عن جمالية للخطاب، وعن قاري أو مشاهد محتمل، فهي بالضرورة تعدد من مناحيها التعبيرية عن الواقع ومن مكوناتها الجمالية ومن تقنياتها ككتابة، لأنها ليست منذورة لسكونية ترصيص أو تراص أدبي فني، بل لأنها منذورة لجمالية دينامية تبحث في المواد الواقعية والتشكلات الجمالية عن أفق ممكن للإنجاز. وفي هذه النصوص المسرحية، التي يرجع بعضها في الأصل، إلى تفاصيل حكاية لقصص قصيرة، كما يرجع بعضها إلى مرجعية أخرى أكثر اتساعا، فإنني كنت أبحث عن مشاهد، لا كبديل للقارئ، وإنما من حيث تحقيق المشاهدة للمشاهد هي بحث آخر في معنى الكتابة، وفي طرائق تصويغها للعالم.

الوضع كما هو، لا يستدعي طلباً لشهرة أو مال، بل يستدعي سؤالاً مركزياً لمعنى أن يصب الكاتب حكاية في قالب حكائي، أي معنى أن يعيد إنتاج ما أنتجه على شكل قصة قصيرة، أو رواية، في إنتاج آخر، ليس للقراءة وإنما هو للمشاهدة. هي تجربة لا يمكن أن أقيم نتائجها في هذه الظروف التي تغطي فيها الغوغائية على أسئلة البحث في الأدب والفن والتشكيل والسينما، لكن عرض (المحاء) التي أنجزه مسرح البرهان، وتابعت عروضه في عدة مدن مغربية، وعرض (تحفة النظر) الذي شارك في إنجازه طلبة من المعهد الوطني للفنون التشكيلية، وطلبة المدرسة العليا للأساتذة بتطوان، وحضره وزير التربية الوطنية الأسبق، ووالي ولاية تطوان، لم يكونا سوى دليل حقيقي على أن (المسرحية)، هي بعد ممكن لجمالية الرؤية والمشاهدة، حتى في ظروف لا تسمح بالانتشار، عبر المدارس والمدن والقرى، أو عبر شاشة التلفزيون. هي أعمال مسرحية كتبتها بحماسة، وفي إطار التجريب لممكّنات تعبيرية تراعي المشاهدة، ولست مخطأ إن أنا لم أتقن ماهيات الدراما التعبيرية، بل المخطئ، هو من يعتبر أن الروائي يجب أن يبقى روائياً، وأن القاص يجب أن يبقى قاصاً، فالمسرح هو أب الفنون كما قيل

## لَمَحَاء

حين لا تبقى سوى الصور والكلمات،"

يكون المحو دون جدوى

ولا حاجة للمحّاء

إلا

"لكي يؤكد على بقاء الصور والكلمات

المؤلف

:الشخصيات

مراد : المحاء. أصلع ، يرتدي ثياباً بوهيمية - 1

عباس : يتقمص عدة أدوار، فهو مالك العمارة، وموظف البنك، والمعلم، وأحياناً - 2  
يأخذ وجهه سمّة قاتل. مرة يعتمر البيرييه ومرة يضع على رأسه عمامة خضراء

وحيدة: زوجة مراد. أنيقة، ثرثرة شرسة - 3

نرجس: عشيقّة مراد. شبه عارية ضحكاتها شبقية. تكتفي بالنظر إلى مراد، - 4  
والإشارة إلى أشياء بعيدة لا تظهر في المكان

: تأثيث فضاء الخشبة

وردة كبيرة حمراء في وسط الخشبة ، مصنوعة من حبال وخيوط وجبس وتبدو ( وريقاتها متفتحة، وهي مرفوعة على ساق ذات أدراج، يمكن أن يتسلقها الممثلون،

(كلهم)

على جانب الخشبة الأيمن ، مجموعة أشياء كالتي تباع في بعض الحوانيت بثمن موحد: ( ... أباريق شموع، أقلام، ممحوات، لعب أطفال، معطرات للمرحاض

على الجانب الأيسر، لوحة خشبية متحركة على عجلات ، ظاهرها باب منزل يكون قابلا أن يفتح على مصراعين، وخلفيتها إطار توجد به صور مرتبة على شكل وجوه متعددة، (ويمكن أن تسحب الواحدة بعد الأخرى

(. بجوار اللوحة الخشبية فراش يوحى بصالون للجلوس)

(موسيقى)

يدخل مراد من الجانب الأيمن للخشبة. يتأمل الأشياء المعروضة يمرر يده على رأسه ( الأصلح، يبتعد عن تلك الأشياء مسافة قصيرة وكأنه ذاهب، ثم يتوقف ويعود ليقرب منها.

(يحمل إحدى لعب الأطفال، يقربها من عينيه

مراد: جميلة ! لكني لم أنجب أطفالا. وحيدة لم ترد ذلك، وتقول إن رجلا مثلي لا يمكن أن تنجب معه امرأة. ومالي؟ وماذا ينقصني؟ آه! هذه لعبة جميلة! هل أهديتها لأطفال بعض أصدقائي؟ وما المناسبة؟ ليست ثمّة مناسبة. هل أشتريها لنفسي؟ أنا أيضا طفل، طفولتي

دائمة، ومازلت أشعر بالحاجة الى اللعب

(. يرمي باللعبة ويحمل دبابة صغيرة، ثم يرميها)

مراد: آه ! لماذا جئت إلى هذا الدكان ؟ إنني أدد بعض الوقت

(. يحمل من تلك الأشياء ممحاة كبيرة، في حجم الخبز الباريسي ويتأملها )

مراد: ماذا علي أن أمحو بها ؟ لعلها تصلح لمحو كل هذا العالم، حتى يبدأ من جديد

(. يصفر صفيرا متقطعا، وهو يمسك بالممحاة الكبيرة وينظر إليها )

مراد: أمحو العالم ؟ وماذا سوف يتبقى؟ البحر لا يمكن أن تمحوه هذه الممحاة، والربيع،

وفرحة القلب النادرة، والرغبة الدائمة في تحقيق بعض الأشياء المؤجلة، والحنين،

والذكرى! أنا أوّجل أكثر مما أنجز! علي أن أصمت الآن ، فلعلها تسمعني وتصب علي

نيران شتائمها من ذلك اللسان الأسود، الذي يشبه رجلا

يأخذ الممحاة ويذهب نحو الجهة اليسرى للخشبة. يجلس على الفراش والممحاة (

(. موضوعة على حجره وهو يحني رأسه وكأنما أصابه النعاس

(موسيقى)

يدفع باللوح الخشبية حتى يصبح ظاهرها في مواجهة الجمهور، وتظهر عليها صورة (

كبيرة لوحيدة. يأخذ الممحاة ويتجه نحوها ويأخذ في محو الصورة بحركات عنيفة

(. ومتلاحقة، والصورة لا تمحي

مراد: هيه. لم تعد ثمّة امرأة تدعى وحيدة. قد محوت وجودها من العالم. هاهي الصورة وقد

أصبحت بيضاء. بيضاء تماما

(. صمت )

مراد: لا يمكنك الآن يا وحيدة أن تقاومي هذا المحو. ها لسانك قد محوته لكي لا يشتمني

مرة أخرى

(. يضحك )

مراد: سأمحو عينيك لكي لا أراها بعد. والنهدان. آه! سأمحوهما. كلما وضعت يدي عليهما باشتهاء كنت تصرفين اليد بعنف ونظراتك حاقدة وأنا أرتعش، وأنظر إلى عينيك الشرسيتين في الظلام

(يمحو الصورة بحركات هستيرية. تدخل وحيدة. تقترب من مراد )  
وحيدة : ماذا تفعل أيها المعتوه ؟ من أين أتيت بهذه المحاة؟  
( يرتبك )

مراد: لا. لا. هذه ليست محاة. إنها مجرد لعبة  
وحيدة : تلعب. اذهب إلى المطبخ لتحضر لنا الغذاء. نظف حذائي. انقع الغسيل في الماء والصابون حتى يسهل عليك تنظيفه. أو اشتر آلة غسيل لتجد الوقت لأشغال أخرى. هيه هل تلعب ؟

( ينظر إليها باندعاش. يركع على ركبتيه وعيناه تحملقان )  
وحيدة : قل إنك تتمنى أن تقتلني. أنا أعيش مع رجل يشتهي القتل  
( ينهض ويقترب منها )  
مراد : لا. لا. أنا رقيق كخيوط من هواء. أنا مسكون بالأحلام والرغاب. أنا أحلم دائما بحياة أخرى أسعد، وبالعالم آخر أجمل. أنا نسمة الربيع. أنا القصيدة. أنا المكتوي بناري التي لا...! يعرفها أحد غيري  
( تقاطعه )

وحيدة : كفى. كف عن هذا الهراء ! اذهب إلى المطبخ وحضر الطعام  
تنصرف. يعود إلى محو صورتها بحركات هستيرية. يمسح العرق المتصبب على جبينه  
بظاهر يده. تبدو حركاته انفعالية ومرتعشة. تسلط عليه أضواء حمراء، ثم زرقاء، ثم صفراء، وهو يمحو وحيدة، وهي لا تمحي  
مراد : يا ويلي! أكون محو الصورة أصعب من جعلها موجودة في الصورة ؟  
ينزعها من الإطار ويقطعها إربا إربا. تظهر الصورة الأخرى التي تحته، صورته وهو  
( طفل )

مراد : آه ! هذا أنا ! طفولتي المقهورة. اليتيم. ليالي البكاء الصامت  
( يأخذ في محو الصورة ، بنفس الحركات الهستيرية. تدخل وحيدة )  
وحيدة : ماذا تفعل ؟

مراد : لقد محوت دمة كانت قد تهاوت على خذي وأنا طفل  
وحيدة : طفل؟ متى كنت طفلا ؟ يبدو لي أن أمك قد ولدتك وساقاك هكذا، كما هما الآن،  
طويلتان. كساقاي بغل

مراد : نعم لقد محوت ذلك البغل الذي كان قد ركمني ذات مرة، وأنا صغير، كما محوت صورة البقال الذي لم يقرضني خبزة وعلبة سردين وأنا جائع، وصورة أمي التي شرذتني وراحت مع زوجها بعد موت أبي، وصورة المعلم الذي كان يكثُر من التمخّط على زاوية...  
الفصل الدراسي، حيث مكتبه، وصو

! وحيدة : كفى ! هات المحاة  
تنزعها منه بعنف وهو يحاول أن يتشبث بها، وتأخذ في تمريرها على وجهه ، وكأنها (

- (. تمحوه ، ينتزعها منها بعنف  
مراد : وحيدة. لكل ممحاته. أنا من اشترى هذه الممحاة. وإذا أردت أن تمحو إنسانا أو شيئا  
فعليك أن تفعل ذلك بممحاتك الخاصة  
وحيدة : آه أنا متزوجة من معتوه أنا جائعة اذهب إلى المطبخ وحضر الطعام  
تنسحب. يبرز بؤبؤي عينيه وهو ينظر إلى الممحاة. ينزع من الإطار صورته وهو طفل ( )  
) ، ويمزقها إربا إربا. تظهر من تحتها صورة نرجس  
مراد : أي ! أنت ؟ ها أنا أصير خيطا من شعاع. أصير آدم والتفاحة في يدي. أصير  
!يوليوس قيصر، أو هارون الرشيد. أنت زبيدة! أنت كليوباترا! أنت حواء  
(. يحني رأسه ويقضم أظفاره بأسنانه. ينكمش. ينظر إلى الممحاة )  
مراد : آه! هل أمحوك يا نرجس ؟ هل أمحو تاريخ العشق ؟ هل أمحو خفقة قلب رجل  
لامرأة ؟  
(. تصعد السلم وتميل بجسدها ورأسها على جانب من الوردية الحمراء. تظل تضحك ( )  
(. موسيقى )  
يضع مراد الممحاة جنب لوحة الصور، ويقترّب من مكان الشجرة ، في وسط الخشبة، ( )  
ببطء شديد، وعيناه والهتان في عيني نرجس. يصعد على ساق الوردية الحمراء، ويقف  
(. مائلا برأسه إلى الجانب الآخر والوردية في الوسط  
(. موسيقى. أضواء حمراء ثم زرقاء ثم صفراء تسلط على المشهد )  
ضحكات نرجس مع الصدى تمتزج بالموسيقى. تنزل نرجس الدرج وتأخذ من الأرض ( )  
ورقة توت تضعها على وسطها. ينزل مراد وينظر إليها. يذهب بسرعة ويأخذ الممحاة  
ويقترّب منها. يطل على الإطار الذي تظهر فيه صورتها. يهيم بالمحو، ولكنه ينتزع الصورة  
(. ويمزقها إربا إربا. تخرج نرجس. صمت. موسيقى  
تسمع من الميكرفون أصوات خطب. أخذ الممحاة ويأخذ في محو تلك الأصوات. تتلاحق ( )  
سرعة أصوات الخطابة. يستمر بحركات سريعة في المحو تخفت الأصوات. تتباطأ حركات  
(. محوه  
مراد : آه ! انتهينا ! ما عاد أحد سوف يخطب بعد الآن ! ديدرو. مات قس بن ساعدة مات  
! آه ! كم هو متعب محو هذه الأصوات  
(. صمت. ثم موسيقى )  
(. يذهب ناحية الإطار ويرى فيه صورة عباس. يقف صامتا لبعض الوقت )  
مراد : هذا الوجه أعرفه. لعله ذلك المعلم الذي كان يتمخض على زاوية الفصل. لعله مالك  
العمارة. لعله موظف البنك الذي يحتقني بنظراته من بشاشته، أما حسابي فهو يعرفه.  
...لعله  
(. يصمت لحظة ويبدو كأنه يتذكر )  
...مراد : لعله  
(. يعود إلى الصمت )  
...مراد : لعله  
(. يصمت لحظة )

...مراد : حفار القبور ؟ بائع النعوش ؟ لعله  
( يدخل عباس وهو يرتدي جلبابا وطربوشا وبلغة )  
عباس : مساء الخير السي مراد  
مراد : يا ويلي ! أ جئت ؟  
عباس : كيف حالك آ السي مراد  
مراد : ( لنفسه ) ياه. هو ؟ إنه هو. لقد جاء  
يذهب بسرعة نحو الإطار الذي عليه صورة عباس. يأخذ في محوها بسرعة وبحركات ( عصبية )  
( يبتسم عباس )  
عباس : ماذا تفعل آ السي مراد ؟  
مراد : أمحو صورة معلمي القديم، ومالك العمارة، وموظف البنك، وصورة حفار القبور،  
بائع النعوش ، وصورتك أنت  
( يقول هذا وهو يرتعش. يضحك عباس )  
عباس : أنا ؟  
مراد : نعم أنت  
عباس : وكم محوت من الصور قبل صورتني ؟  
مراد : محوت ... محوت .. محوت الليلي، والأرق، ومحوت الحوارات التي كنت أعقدها  
بيني وبين نفسي، كما محوت وخزات الذاكرة  
( لحظة صمت. موسيقى )  
( يأخذ مراد الممحة الكبيرة ويبدأ مرة أخرى في القيام بحركات محو في الفراغ )  
يدير اللوحة الخشبية المتحركة ويجعل ظاهرها الذي على شكل باب منزل في مواجهة ( الجمهور. يفتحه على مصراعيه ويدخل يقف خلف الباب الذي يوطر وقفته  
مراد : عباس. رأيت هذا المنزل ؟  
عباس : هذا منزلك آ السي مراد  
مراد : عرفته ؟ هل أنت متأكد من أنه منزل ؟  
عباس : يمكن ؟ ربما ؟  
مراد : هذا ليس منزلا  
عباس : وما هو ؟  
مراد : قد يكون قبرا ، وقد يكون سجنًا، وربما هو حانة  
عباس : حانة ؟ ماذا تقول آ السي مراد ؟  
مراد : قلت لك ربما  
عباس : إذا كان حانة فأين القوارير، وأين الكؤوس، وأين الغانيات، والموسيقى ؟  
مراد : يمكنك أن تتخيل كل ذلك  
عباس : أتخيل ؟ هل تريدني أن أشرب كأس في الخيال ؟  
مراد : ويمكنك أن تفعل أكثر من ذلك؟ أن تناضل وأن ترى جنازتك تعبر الشارع نحو  
المقبرة، وأن تقبل أية امرأة تشاء، وأن تسافر الى المدن، وأن تستحم في مسابح مليئة

.بالعطور، وأن تمحو المواقع التي لا تعجبك في خرائط هذا العالم  
( تدخل وحيدة مكشرة )

وحيدة : السي عباس ! آه ! أنت هنا ؟

مراد : هو دائما هنا

عباس : أنا لم آت إلا قبل لحظات

مراد : لكن انظر. وجهك أصفر. أنت لا تستطيع أن تنظر إلى وجهك. تحتاج إلى المرأة

وحيدة : دع عنك عباس أيها الممسوس

مراد : أهذا هو عباس ؟ لقد تغير وجهه. انظري

( يعتمر عباس ببيديه يخرج من جيبه ، ويسويه على رأسه )

( مراد يصاب بحالة فزع وينظر نحو وحيدة )

مراد : انظري إنه واحد من القتلة

وحيدة : القتلة ؟

مراد : نعم ! هذا أحد القتلة ! تعالي يا حبيبتي نختبئ تحت تلك الشجرة

وحيدة : تلك شجرة الحب ؟ أتريد أن تغويني ؟

مراد : ولكنك زوجتي. أنت حبيبتي

وحيدة : هل قتلها ؟ أعد ما قلت. إنني أسمع كلامك ولا أصدق ما تقول

مراد : هل أفرحك ذلك ؟ هل تفرحين لأنه قد قتلها ؟

وحيدة : كلامك يثير عندي كثيرا من السخرية والمرارة

مراد : المرارة ؟

. وحيدة : نعم

عباس : كم هي التي قتلت ؟ أنا لم أقتل أحدا

. . . مراد : أنت قتلت شجرة الحب. أنا رأيتك تقتلها. كانت نرجس تجلس

وحيدة : نرجس ؟ قتلها؟ ليتها فعل؟

عباس : ألا تعودان إلى رشدكما.كفاكما من هذه المخاصمة السخيفة. أنا عباس، ولم أقتل

أحدا

وحيدة : (لعباس) لبيتك قتلتها

... عباس : أنا؟ أقت... أنا عباس، أقت

مراد : نعم أنت عباس . وأنا أعرف قاتلا اسمه عباس ومالك العمارة اسمه عباس ،

وموظف البنك الذي يعذبني بالانتظار والنظرات الخزر اسمه عباس، وبالرغم من أن نفس

البنك يظهر للناس في الإشهار موظفين بشوشين لطفاء. كلهم . ومعلمي الذي كان يضربني

حتى يسيل دمي اسمه عباس.كلهم عباس. وهذه، وحيدة. هل تراها؟

عباس : نعم أراها

مراد : هل أنت متأكد من أنها وحيدة؟

عباس : نعم متأكد

مراد : إنها عباس. كل القتلة اسمهم عباس

وحيدة : ولكن قبل حين قلت إنني زوجتك وحبيبتك



مراد : في خيالي ذلك ما أتمناه، وأما في الواقع فأنت عباس  
عباس : (لمراد) أنت تلبسني تهمة القتل، فمن قتلت؟  
.. مراد : قتلت حبي لزوجتي، أنت.. أنت خائن. لا هي الخائنة. أنتما  
وحيدة : ماذا ؟ قل. أم أنك ستقول في المصحة العقلية؟  
عباس : وحيدة. السي مراد متعب في هذه الليلة. دعيه يقول ما يشاء  
وحيدة : هو متعب في كل الليالي  
مراد : حقا. أنا متعب في كل الليالي، وحتى في كل النهارات  
عباس : اذهب آ السي مراد إلى فراشك لتستريح  
مراد : الفراش؟  
عباس : نعم الفراش  
مراد : تعني فراش الزوجية؟  
عباس : أي فراش تستريح فيه  
مراد : فراش الزوجية محوته ( يأخذ الممحاة بيده) بهذه الممحاة. كل الفرش محوتها. )  
يمحو بالممحاة في الفراغ بحركات عصبية)  
وحيدة : ونرجس، الأم تمحها بهذه الممحاة؟  
مراد : تعرفينها ؟  
وحيدة : وهل في حياتك شيء يخفى علي؟  
مراد : كل حياتي لا ترين فيها إلا ما تريدين. حياتي الحقيقية التي أرى فيها نفسي  
عباس : في المرأة؟  
مراد : في وجوه القتلة، والسفلة، والخونة  
وحيدة : طاهر عفيف، والآخرون هم القتلة والسفلة والخونة  
مراد : (ساخرا) أنا؟ من قال ذلك؟  
وحيدة : قبل حين كنت تمحو صورتى بهذه الممحاة. هل أصدقك وأنت تقول إنني زوجتك  
وحبيبتك؟  
مراد : صدقيني، فذلك كان، وصدقي أنني قد محوت صورتك  
عباس : كان. سيكون. هذا لجاج لا فائدة فيه  
مراد : وأنت ما الفائدة فيك؟  
عباس : أنا صديقك  
...مراد : كنت أتمنى ذلك. فأنا لا أحب أن أمحو صورة الصداقة، ولكن صورة الخيانة  
( يظهر مراد غاضبا. يأخذ الممحاة في حركات محو تشملهما معا )  
! مراد : ها ! ها ! ها  
عباس : مسكين ! أمح يا أخي. أمح، إذا كان هذا المحو يريحك  
وحيدة : اللعنة على من أعطاك هذه اللعبة السخيفة . هل نقتع الغسيل في الماء  
والصابون؟ هل حضرت الغداء؟ متى ستشتري آلة كهربائية للغسيل؟  
( تخرج وحيدة. يقترب عباس من مراد )  
عباس : صديقي مراد. لا تغضب. النساء هكذا يغضبن من وقت لآخر. لا تأخذ على زوجتك

- وحبيبتك وحيدة، فهي وحيدة في القلب، وأنا أعرف  
مراد : تعرف؟ أنه قلبي أم قلبك أنت؟
- عباس : القلوب واحدة. وأنا لست قاتلا، لست معلمك القديم، ولا موظف البنك، ولا مالك  
العمارة. لا تحزن، وحتى وإن محوت صورتني فلن أغضب  
مراد : ( يهتمهم وكأنه يحدث نفسه ) أريدها الآن  
عباس : من هي ؟  
مراد : هل سمعت ما قلته لنفسي؟  
عباس : سمعتك تتحدث عنها، فمن هي؟  
مراد : ألا تعرفها ؟  
عباس : أنا صديقك وأنت لم تقل لي. هل بيننا أسرار؟  
مراد : نورة القلب. الخفيفة كنسمة الصيف. الضاحكة كالموج. المسافرة أبدا وقلبي معها  
عباس : آه أنت عاشق  
مراد : عندما تصبح زوجة الواحد عشيقة لقاتل مثلك، ليس عليه إلا أن يكره النساء أو أن  
يعشق من جديد  
عباس : أتظن بي وبوحيدة كل هذه الظنون؟ يا أخي عار عليك. لا. لا يمكن للغيرة أن تصل  
إلى هذا الحد. ولكن لا بأس، فأنت تغار على زوجتك، والغيرة شرف، كرامة، وهي دليل  
على الحب  
مراد : استظهر هذه الدروس على من لا يعرفك  
عباس : وأنت أتعرفني ؟  
مراد : أبدا. لقد كنت. بهذه الممحاة ( يأخذ الممحاة بين يديه ) محوتك، فلم تعد موجودا حتى  
أعرفك أو تعرفني  
تدخل نرجس ، متمائلة ، شبه عارية، تضحك ضحكات شبكية. يتطلع إليها عباس ( بنظراته )  
عباس : ( وهو يهم بالخروج ) هذا هو أنت يا مراد. تخون وحيدة  
مراد : هل ستخبرها بذلك لتجدا ذريعة للخيانة؟ قل لها إنها هي البادئة، وبعد أن محوتها،  
وجدت لقلبي هذه الحبيبة. إنك لست قاتلا للحب وحسب، ولكنك تتجسس على حياتي  
عباس : ( ضاحكا ) أنا؟  
يخرج عباس. ترتقي نرجس أدراج السلم وتجعل رأسها على جانب من الوردية. يقترب ( )  
( مراد بحركات راقصة ويصعد الأدراج حتى يقف على الجانب الآخر  
موسيقى حالمة. إضاءة حالمة للخشبة. عالم بدئي يظهر من خلاله مراد وهو شبه عار، )  
( ونرجس وهي شبه عارية  
( لحظة صمت. ضحكات نرجس تغمر القاعة )  
مراد : ها أنا! ( يطل عليها من جانب الشجرة )  
نرجس : وها أنا! ( تطل عليه من الجانب الآخر للشجرة )  
! مراد : أنا مراد  
! نرجس : وأنا نرجس

! مراد : أنت حواء

! نرجس : وأنت آدم

! مراد : آدم حزين

. ( تضحك نرجس ضحكاتها المستهترة )

نرجس : ولماذا أنت حزين يا حبيبي ؟

مراد : طفولتي ، والمعلم القديم ، وموظف البنك، وبقال الحي، والنساء اللواتي أحببتهن

. وخنني، وصاحب العمارة، والقتلة، وعباس، كلهم عباس

نرجس : وحيدة ؟ كا . كا . كا . هل تبدأ وتنسى، أم لا تبدأ ولا تنسى؟

مراد : أبدأ وأنسى. ولكن كيف أنسى؟

نرجس : ألم تكن لك ممحاة تمحو بها ما لا تحب أن تراه؟

.مراد : كانت . لكني أتذكر

.نرجس : أمح ذاكرتك بتلك الممحاة

.مراد : ليتني أستطيع

. نرجس : حاول

.مراد : لا أستطيع

نرجس : ولكن، قلت وحيدة. هل هي امرأة سبقتني إلى حياتك؟

.مراد : هي كذلك

.نرجس : وإذن فأنا لست حواء، وأنت لست آدم

.مراد : للأسف. فهذه ليست جنة. هي أرض طردنا الله إليها

.نرجس : وهل نحن مطرودان من الجنة

.مراد : مطرودان

تضحك نرجس ضحكاتها الشبقية، صدى للضحكات يتردد في القاعة. تنزل السلم، وتغادر (

. الخشبية. يبقى مراد وحيدا. يأخذ الممحاة وينظر إليها

مراد : لعبة. هل أنت لعبة ؟ اللعب. لا بد أن ألعب وأمحو من هذا العالم ما لا يعجبني. العالم ؟

أي عالم ؟ أمحو الحكام الظالمين، والمنتخبين الذي يصعدون بشراء الأصوات، وأمحو

كلاب الحراسة، والقتلة، وبؤس الطفولة وشقاوة الأيام. أمحو. . . (يأخذ الممحاة ويمحو

في الفراغ) هيه. هيه. هيه. أمحو الحروب من كل الخرائط. أمحو الدبابات وغارات

الطيران، وكل الأيدي الملتخة بدماء الشعوب. أمحو... هيه. هيه. هيه. أمحو... ما الذي

سوف لن أمحوه؟ ماذا سوف يتبقى؟ ( يتوقف عن المحو وهو يلهث، وحيث يتضخم صوت

. لهاته عبر مكبر الصوت ليعم القاعة

. ( لحظة صمت )

مراد : لسانها الأسود الكريه محوته. المقهى والوجوه التي لم آلفها. محوتها. وخزات

الذاكرة وأرق الليالي. النساء اللواتي أحببتهن ولم يحببني. وجه المعلم الكثير التنخم على

زاوية القسم. زوج أمي. الخرائط والحروب. ماذا تبقى؟ ماذا تبقى ؟

. (لحظة صمت )

مراد : بقيت أنا ! هل أنا هو حاكم هذه الأرض ؟ من أنا. هل أنا هو...؟ يمكن ربما أنا هو...

هل أمحو صورتني ؟

( يأخذ الممحاة ويوجهها نحو وجهه، ويأخذ في المحو )  
مراد : ها ! ها ! ها ! هل استرحت ؟ هل أنت وقد أصبحت من عدم! لا شيء ! مراد لم يعد موجودا الآن .يمكنكم أن تستريحوا من مراد، ومن شره، ومن جنونه ، ومن محوه

! لصوركم. لا مراد الآن! لا مراد الآن

( يسقط على الأرض. يصطنع حركة ميت. تدخل وحيدة )

وحيدة : هل كنت تغازلها في غيابي ؟

(يظل على هيئة ميت، مسجى على الأرض )

وحيدة : أيها الثعلب ! ها أنت أضعف من ذبابة أمامي

( ترفسه بقدمها وهو لا يتحرك )

وحيدة : يا ويلى هل مات؟ من سينظف الثياب ويطهو الطعام؟

( ترفع يده فتسقط. تجس نبضه. تنظر الى عينيه. تصرخ )

! وحيدة : مات ! مات ! مات ! مراد

( يدخل عباس و نرجس. يقتربان من مراد وينظران إليه )

! عباس و نرجس : (بصوت واحد) مات

( ينهض مراد واقفا كالمفروع، وينظر إلى عباس ووحيدة )

مراد : ألم تموتا بعد ؟ آه ، نرجس ! لا تموتي، لتبقى صورة منك لحواء القديمة بيننا. لقد

محوت صورتها وها هما لم يموتا بعد

وحيدة : من قال لك إن هذا اللعب الصبياني يقتل؟

تدخل نرجس من الباب الذي يوجد في وسط الخشبة، وتتبعها وحيدة، وبعدها مراد ثم (

عباس ويعاودان الدخول والخروج في حركة دائرية والواحد منهم يتبع الآخر. تصعد وحيدة

الأدراج وتقف على جانب من الوردة الحمراء. تنسحب نرجس من الخشبة. يظل مراد

وعباس وهما يدخلان ويخرجان من الباب، حتى يتوقفان عن ذلك ، ويتبادلان النظر

(كغريبين عن بعضهما

مراد : ماذا تفعل أنت هنا في بيتي ؟

عباس : بيتك ؟ ألم تقل إن هذا المكان يمكن أن يكون مقبرة، أو سجنا، أو حانة ؟

وحيدة : ألم تذهب إلى المطبخ لتحضر لنا الطعام ؟

مراد : المطبخ؟ لقد محوته.لم يعد لنا مطبخ في هذا البيت

وحيدة : ادع صديقك وتعال لنتناول العشاء في أحد المطاعم. سأرتدي ثياب الخروج

وَأعوذ

( تخرج من الخشبة. يقترب عباس من مراد )

عباس : مازالت بعض الأسرار بيننا

مراد : الأسرار ؟ أية أسرار ؟

عباس : هل يمكنك أن تقول لي عن الأشياء الأخرى التي محوتها ؟

( يبتهج مراد )

مراد : آه! محوت بعض الخطب، وأصوات بعض الخطباء ، كما محوت التلفزيون، وبعض

الكتب المعروضة على أرصفة الطرقات، ومحوت العمائم، وقحولة أيام الربيع، والموسيقى التي تهز النفس، ودموع الصبيان، ولوائح الأسعار التي تخذل الفقراء، واللصوص والقتلة، ورجال البوليس، والسماصرة، وغبار الملفات الإدارية، والكلام المعاد، والنساء الشرسات، والمرايا، والكذب على النفس، والذاكرة والكسل، والأحزان

عباس : محوت كل ذلك ؟

... مراد : ومحوت

عباس : ماذا ؟

مراد : مالا يقال

عباس : وهل تقوله لي ؟

مراد : كيف أقوله لك وقد صار ممحوا ؟

عباس : هل أنت واثق من ذلك ؟

مراد : كما أنا واثق من أنك ممحو

عباس : أنا ؟

! مراد : نعم أنت

عباس : لكني ماثل أمامك

مراد : أعرف ذلك

عباس : فما معنى أن أكون ممحوا ؟

مراد : لقد محوت كل ما محوت

عباس : كيف ؟

مراد : محوت ما محوت ، وعاد العالم كما كان

عباس : لماذا ؟

مراد : لأنها لعبة، مجرد لعبة ، فالعالم لا يتغير هكذا، بمجرد الأوهام

عباس : كيف يتغير العالم ؟

مراد : عليك أن تسأل نفسك

( تدخل نرجس ووحيدة في وقت واحد )

نرجس ووحيدة : ( بصوت واحد ) أين صورتني ؟

! مراد : إنها في المرآة

نرجس ووحيدة : وأين المرآة ؟

! مراد : إنها في عينيكما

يتعثر عباس في الوردة الكبيرة ويسقطها على الأرض. يسقط الجميع على الأرض. (

تلتف الأذرع بالأرجل . يصير الأربعة كأخطبوط متداخل

( موسيقى )

ينهض مراد ويأخذ המחاة ويلوح بها في وجه الجمهور. ينهض الثلاثة ويتنازعونه (

المحاة، وهو يتشبث بها، وكلهم يرسمون حركات محو في الفراغ، مصحوبة بالموسيقى

).

النهاية

## الغريب في الميناء

شخصيات المسرحية

الغريب: عجوز ملتج، ذابل الوجه، منكسر النظرات، يرتدي ثيابا رثة ويعتمر قبعة حائلة اللون.

العجوز الخرقاء: ترتدي ثيابا أنيقة، مفرطة في زينة وجهها، تعتمر قبة من حرير، حول عنقها شال أصفر.

المسافرون: يحملون أو يجرون حقائبهم، يبدو عليهم التسرع في مشيهم وهم يمضون على رصيف الميناء.

حمالو الأمتعة: على صدورهم لوحات كتب عليها: حمل الأمتعة.

المستقبلون للمسافرين: رجال ونساء وأطفال كلهم يتطلعون إلى الباخرة لحظة وصولها إلى الميناء. يحيون بأيديهم وبالمناديل من يظهرون من الركاب على متن الباخرة وهم على وشك النزول.

الركاب: رجال ونساء وأطفال يبدو عليهم التعب ودوار البحر، يلوحون بأيديهم وبالمناديل للمستقبلين على الرصيف.

تأثيث الخشبة منظر لميناء يظهر عليه الرصيف وباخرة ترسو عليه. على الرصيف يقف المستقبلون، ومن بينهم الغريب، وهو يلوح بمنديل. بينما تظهر العجوز الخرقاء على متن الباخرة، وسط الركاب، وهي تلوح بمنديل زعيق البواخر.

موسيقى من أوبرا فاغنر.

حركتان واحدة يقوم بها ركاب الباخرة وهم ينزلون والأخرى يقوم بها المستقبلون وهم يتطلعون بفضول وشوق ورغبة للركاب

أضواء تسلط على الباخرة لتظهر وحدها في المشهد. يتسع الضوء ليشمل الباخرة . والرصيف. والشباك التي على يسار الخشبة ثم تقلص تدريجيا ليعم الظلام

زعيق البواخر  
موسيقى من أوبرا عابدة لفاغنر

ينحسر الضوء ليتركز على الغريب. ينتقل الضوء لينحسر فيتسلط على العجوز الخرقاء . وهي تنزل أدراج الباخرة. يعود الضوء ليتسلط على الغريب

يبدو واقفا وهو يتطلع إلى العجوز الخرقاء

الغريب: هي. لعلها هي. ها هي. لعلها أختي التي لم أرها منذ أعوام، أو أول امرأة أحببتها. ولعلها أمي التي ماتت. ها هي تلوح لي بمنديلها وأنا ألوح لها بمنديلي. (يلوح في اتجاه المرأة الخرقاء بالمنديل، وتظهر المرأة الخرقاء وهي تلوح له بالمنديل. تبدو على ملامحه السعادة). ها قد عادت بعد كل هذا العمر الذي قضيته في الانتظار. في كل يوم آتي للميناء وأنتظر لعلها تأتي. اليوم ها هي تصل من وراء البحر إلى هذا البر. الحمد لله أ، ها وصلت بسلام، فلم تغرق الباخرة في بحر الظلمات. اليوم لن أبقى غريبا في هذه المدينة، سوف تصير لي مؤنسة في حياتي. ولكن من هي؟ هل هي أختي التي تزوجت رجلا أخذها معه إلى تلك الأرض البعيدة؟ هل هي أول امرأة أحببتها فأخذها مني رجل آخر وسافر بها إلى ما وراء البحر؟ هل هي أمي التي ماتت. لا. لن تكون أمي فهي في مثل سني. (يتركز الضوء على العجوز الخرقاء، ثم يتركز على الغريب). سنلتقي. تعالي. الحمد لله على سلامة الوصول. لن أبقى غريبا. سأجد امرأة تكون هي أختي أو أمي. سوف أجد من جديد تلك المرأة الأولى التي كانت أول حب ثم ضاع الحب. سأفرح بامرأة على كل حال وهي تأتي إلى حياتي.

ينزل الركاب من الباخرة

يقترب منهم الحمالون

يقترب المستقبلون من الركاب

هرج في الميناء وحركات طائشة بين الذهاب والإياب على الرصيف

.موسيقى

الغريب: أين هي؟ هل ضاعت وسط الزحام؟ يجب أن أبحث عنها. هل أبقى بدون حب لامرأة؟ هل أموت غريباً من غير أن تضع امرأة على قبوري باقة من الورد؟ لا يمكن. كيف سأناديها؟ ما اسمها؟ آه أنا لا أعرف أي أختي أم هي المرأة الأولى التي أحببت، أم هي أمي. أختي مريم. لعلها هي. عشت معها صباي. كانت تكبرني بعامين، وكانت شقيقة روعي. كان الوالد محاربا يقاوم جيوش الاحتلال ولم نره إلا وهو يعود معطوبا ليشفى ثم يعود إلى الحرب ليقاوم الغزاة الذين يحتلون أرضنا. مريم كانت تطلب مني أن نتجنب حقول الألغام ونحن نذهب إلى المدرسة. نضحك. أهديتها نواراة أفحوان أكون قد قطفتها من حقل مزروع بالقمح، أو أهديتها سنبللة. مريم؟ ها هي تعود من وطن الهجرة إلى وطننا العزيز. الباخرة وصلت الآن. هي وصلت مع هذه الباخرة، بعد انتظار. في كل يوم كنت آتي إلى الميناء وأنتظر

.منظر للركاب وهم يسرون على الرصيف

الغريب: وأين هي الآن؟ هل ضاعت مني وسط الزحام؟ هي بنت حومتنا. صغيرة كانت، أكثر جرأة مني على الحب. كنت خجولا وكانت أكثر جرأة مني فعلمتني ما هو الحب. سميرة. ها هي تنسى ما عاشته في الغربة، وراء البحر وتعود إلى بر الأمان، وحيث انتظرت عودتها كل هذه السنين. لم أتزوج. بقيت أسكر وأحلم بعودتها. هي سميرة تعود الآن لأقيم معها سمرا لليال لا تنتهي. هي الآن تضيع مني في زحام الميناء

.تسلط الأضواء على المسافرين العائدين، وعلى الحمالين

.موسيقى من أبوبرا فاغنر ممزوجة بزعيق البواخر

.الغريب: هي أمي؟ أمي ماتت. الخطى تتزاحم على هذا الرصيف. أنا ضائع

. (يتعثر في خطاه وهو يتطلع إلى المسافرين العائدين)

.الغريب: أشم روائح الجزر والأرخبيلات. أبكي غربتي في هذا الوطن. أبكي غربة أحبائي

يجثو على ركبيته ويبكي وهو يخفي وجهه بكفيه. ينهض واقفا. يتطلع إلى المسافرين (العائدين وهو يخطون على الرصيف. يلتقي بالمرأة الخرقاء. يقترب منها. تقترب منه. يلتقيان. تحييه بحركة من المنديل الذي في يدها ويحييها بحركة من المنديل الذي في يده

.الغريب: حبيبتي



العجوز الخرقاء: حبيبتك؟

الغريب: أنا أنتظرِكَ من زمان. آتي إلى هذا الميناء كل يوم وأعرف أنك سوف تأتيين

العجوز الخرقاء: تنتظرني؟ آه. رجل ينتظرني. قلبي يدق. أنا خجولة وكلمات الغزل التي يوجهها إلي رجل تززع روعي

يبدو الغريب عرقانا وهو يمسك جبينه بالقبعة التي انتزعها من رأسه. تبدو المرأة ( الخرقاء عرقانة وقد فسد ما على وجهها وعينيها من ماكياج فظهرت عيناها مفزعتين

المرأة الخرقاء: أنا ما زلت أشكو من دوار البحر. أنا أشكو من دقات القلب. قلبي يدق. يدق بسرعة

الغريب: قولي إنه يخفق للحب يا سيدتي

المرأة الخرقاء: سيدتك؟ أنا عرقانة. أشعر بالحرارة في جسدي

الغريب: جسديك؟

(يرقص الغريب رقصات مضحكة وهو يفتح ذراعيه ويتعثر في خطواته)

الغريب: ب: جسديك يعرق؟ إذن أنت هي تلك الصبية التي كنت قد أحببتها. أنت سميرة

المرأة الخرقاء: أنا سميرة؟ من هي سميرة

الغريب: حبي الأول. هي أول من أحببت. كنا نلتقي أنا وإياك يا سمير في الخفاء، بعيدا عن الأعين، أقبلك فتقبليني. أمسك بيدك ونسير بين الدروب. تعرق يدي في يدك وهما متماسكتان ونحن نسير

المرأة الخرقاء: تعرق يدي؟ ها هي عرقانة. جبرني يعرق. أخشى أن يكون هو عرق الموت

الغريب: الله سوف يطيل من عمرك، وسيعيدنا إلى صبانا الأول. هل نسيت أيام كنا نخرج إلى الحقول

راحت . غابت نجمتي في سمائها البعيدة . ها أنا في ظلماني . الظلام أيها السادة . الظلام يعم هذا الرصيف الذي تنتظر عليه وصول أخ أو صديق أو زوجة أو حبيبة . ( يتجه نحو ) . ها أنتم تنتظرون مثلي . غدا ستأتي بعض البواخر ، ولعلها تحمل معها أبا أو صديقا أو زوجة أو حبيبة ، لعلها تصل ، لعله يأتي ، لعلهم ... ها أنا أشم روائح الجزر والقيعان والأرخبيلات . أشم رائحة الغربية . أنا الغريب وهذه المدينة هي التي غربتني . الظلام أيها السادة . الظلام يعم هذا الرصيف

يعم الظلام الخشبة للحظات تسمع خلالها موسيقى . ينصب الضوء على الغريب وقد ( جلس على حافة الخشبة ، ورجلاه تتمايلان

الغريب : عرفات كل الموانئ التي انتظرت على أرصفتها لم يتنبأ بأى شيء . قلن لي سمائك غائمة أبدا ، والعواصف تهز الشراع ، وليس ثمة سوى نورس وحيد يستريح على أحد الحبال ، وهو ينفر جناحيه للطيران من حين لآخر والجناحان لا ينفران في سماء الغيم . أعطيتهن كل النقود التي كانت معي ، وخرجت إلى الأبواب ، أنفض عن كتفي وشعري غبار أيامي

الغريب : تركت أمي أيها السادة ، ودفاتري المدرسية ، وعنزة كنت أروض من لبان ثديها ، ومشيت ومشيت حتى قطعت البراري والحقول ، واجتزت بعض المفازل ، وغافلت قطاع الطرق ، وتجنبت طريق الذئاب حتى وصلت إلى أحد الأبواب ، وكان يتجمع حوله القتلة وتجار العملة والمهربون وبعض الحراس المدججين بالأسلحة . دخلت ذلك الباب ، وأفرحني زعيق الباخرة وهي تستعد للإقلاع . سافرت إلى الجزر ، ونمت في العراء ، واعتصرت رحيق الفواكه الاستوائية في فمي ، وروضت النمر ، ووشمت على صدري وذراعي ، حتى جاء القراصنة إلى الجزيرة منهكين ، فسرقوا من دنانهم خمر أسكرتني ، وأخذت أبحث في مجال الجزيرة عن المحال . امرأة تغريني وتغويني . امرأة قلبها عار ، أخضر ، نهذاها موشومان وساقاها مرصودان للريح . امرأة الجزر . وكنت أبحث عن الحال في هذا المحال

. زعيق البواخر)

. موسيقى

الأضواء تتحول نحو الباخرة ، حيث يظهر بعض المسافرين يتزاحمون وهم بصدد النزول . ( على السلم الغريب يولي ظهره للجمهور ، ويبدو محدقا ، ومأخوذا

الغريب : ها قد عادت . لعله قد وصل مع هذه الباخرة . ربما يكونون قد جاءوا

الركاب يلوحون بالمناديل. الغريب يقف حائرا. الركاب ينزلون الأدراج ويتحولون إلى )  
مستقبلين يلوحون أيضا بالمناديل في اتجاه الباخرة ، ثم يتحولون إلى حمالين

. موسيقى

وسط الزحام تظهر العجوز الخرقاء ، راعشة اليدين ، منحنية الظهر ، ذات شعر أزرق ،  
ومعطف قديم . يقترب منها الغريب. يحدق بنظرات متفحصة . ينزع قبعته ويلوح لها بها  
) .

. الغريب : أحمد الله على سلامتك ، يا عزيزتي

. العجوز الخرقاء : آه أنت كلما وصلت ميناء من الموانئ إلا وأجدك أمامي

. الغريب : أنا في الانتظار يا عزيزتي

العجوز الخرقاء : عزيزتك . هل أنا عزيزتك أيها المخبول ؟ هل أنت عزيز على أحد؟ وهل  
أنا عزيزة عليك، أو على أي أحد؟

الغريب : أنا مخبول ؟ إذا كنت مخبولا فانتظارك الطويل هو ما الذي  
جعلني أكون مخبولا. هل أنت عزيزة على أحد؟ تقولينها هكذا وكأنني غير موجود أمامك؟  
أنت عزيزة علي. أنت حبيبتي. أنت كل ما تبقى في هذا العمر القبيح الذي أريد له أن ينتهي  
جميلا .

العجوز الخرقاء : لا بأس . هل معك قطعة نقد تعطيها لهذا

الحمال ؟

تلتفت حولها . تفاجأ بأنها لا تجد الحمال . يخرج الغريب قطعة نقدية من جيبه ويعرضها )  
( على العجوز

. الغريب : تفضلي

العجوز الخرقاء : أين الحمال . أين راحت أمتعتي ؟ أنت هو

. الحمال إذن فخذ تلك القطعة النقدية

... الغريــــــــــــــــب : كيف أكون حمالا ؟ وأنا

. العجوز الخرقاء : وأنت ماذا ؟ قل

. الغريــــــــــــــــب : أنا أنتظرک هنا على هذا الرصيف

العجوز الخرقاء : تنتظرني ؟ هل أنت أخي الذي غرق في البحر ؟

. الغريــــــــــــــــب : وهل غرق أخوك في البحر ؟ مسكينة . لم أكن أعرف

. (تظفر الدموع من عينيه ، ويخرج شارة حداد سوداء يضعها على ذراعه)

العجوز الخرقاء : ماذا ؟ أنت في حداد ؟ هل مات لك أحد ؟

. الغريــــــــــــــــب : أخوك يا عزيزتي .أنا في حداد من أجله

العجوز الخرقاء : يبدو أنك ضابط مباحث .أرجوك .أنا غريبة

عن هذه المدينة ، وكل ما لدي هو دموعي التي يمكن أن أذرفها في أي وقت إذا كان أخي قد قتل بعض النساء غيرة عليهن ، فقد فعل ذلك وهو مخمور .ثم إنني لم أشاركه في قتلهن

الغريــــــــــــــــب : أخوك قتل بعض النساء ؟

. العجوز الخرقاء : كان يلهو معهن . قتله لهن كان لهوا ، ومن قبيل المتعة المتبادلة

الغريــــــــــــــــب : وهل استمتعت النساء بطريقة قتلهن ؟

العجوز الخرقاء : ومن أدراك ؟ كيف عرفت ؟ هل كنت امرأة

من النساء اللواتي قتلهن ؟

الغريــــــــــــــــب : أنا؟ كنت امرأة ؟

العجوز الخرقاء : ربما ! ولم لا ؟

. الغريــــــــــــــــب : لكنت خائفة مني . ولم تتذكريني بعد

. العجوز الخرقاء : أنا خائفة منك . اسكت أيها الأهل  
الغريــــــــــــــــب : أنا أهل ؟ أما كنت تنادينني بحبيب القلب؟

. العجوز الخرقاء : قلب طائر ذبيح

. الغريــــــــــــــــب : ربما أنا ذلك الطائر

. العجوز الخرقاء : أنت طائر ؟ إذن عليك أن تطير أمامي

. الغريــــــــــــــــب : لكني طائر ذبيح

. العجوز الخرقاء : إذن فأين الدم ؟ أين الريشات المنتوفة ؟

. الغريــــــــــــــــب : أردت أن أناديك ونسيت الاسم

. العجوز الخرقاء : تنادينني ؟ هل ارتفعت الكلفة بيننا ؟

. الغريــــــــــــــــب : ألم تكن عيناك متوحشتين ، ونهداك موشومتين ، وربيعك الدائم  
في تلك الجزر يسري في دمي ؟

. العجوز الخرقاء : دمك ! أمثلك يكون له دم ؟

. الغريــــــــــــــــب : لقد نسيت القبل ، وأريج الجزر ، والنباتات الرخية الظل ،  
والذراع وسادة ، والضحكة ، والإشارة التي تفود خطانا

. العجوز الخرقاء : أنت تتحدث عن أخي الذي أغرقه البحر . كان يحب الخمر والنساء ،  
. وكان يحب الجزر

! الغريــــــــــــــــب : مسكين

. ( تطفر الدموع من عينيه ، ويسوي شارة الحداد السوداء على ذراعيه )

. العجوز الخرقاء : هل كنت واحدا من نداماه . لعلك كنت تصطاد له السمك ، وتغريه بمزيد

. من الخمر والنساء

الغريب : أنا ؟

العجوز الخرقاء : اسمع . ألا يظهر لك هذا الرصيف خاليا ؟ أنا ما زلت عذراء . إياك أن  
. تغتصبي في هذا الظلام

الغريب : أغتصبك ؟ ألم تكوني الضوء لعيني ، والنار لعروقي ، والضحكة  
. لأيامي ؟ يمكن أن أتلف معك ، وأخلع العذار ، وأنا منتش بجسدك

العجوز الخرقاء : وهل تقدر ؟ ألم يفن جسدك بعد ؟

. الغريب : أقدر . تعالي

. ( يقترب منها ليحوطها بجسده . تبتعد عنه )

العجوز الخرقاء : منذ ألف عام وأنا أحياء في الغربة . تعودت الموائى ، واللقاء مع رجال  
. عتاة ، لكن ليس لدي ما يسرقون ، وليست لدي أخبار تفيدهم في شيء

الغريب : هل أنا رجل عات ؟ كيف أكون وقلبي أرق من خيط شعاع ؟

العجوز الخرقاء : أنت ؟

الغريب : أسألي الموجة وهي تترقق . أسألي النجمة القطبية وهي تطل  
. أسألي المواجه والليالي والذكريات

العجوز الخرقاء : أمتعتي ! أنت سارق . أو لعلك متواطئ مع ذلك السارق الذي أخذها . ليس  
. ثمة شيء سوى رسالة عزيزة علي ، كان أخي قد أرسلها إلي من الجزر

الغريب : رسالة ؟

العجوز الخرقاء : وما شأنك أنت ؟

الغريب : عزيزتي . أصرت ناسية إلى هذا الحد ؟

العجوز الخرقاء : قل لذلك الذي يتظاهر بأنه حمال أن يعيد لي أمتعتي . أعرف لصوص



الغريب : هو ذا شعرها وقد صار أشيب .حببتي صارت شيباء. عيناها ترشحان بالدموع ، وعمودها الفقري مقوس ، لكن البريق في العينين يوحى بالنظرة الأولى ، في تلك الجزيرة التي تدعى أطلننتيد ، وراء المدن والعمارات والبنوك ، والقتلة والمرابين والسفلة .حيث العالم كله يخفق لرفيف جناح نورس ، أو لشعر أثيث تأخذه الريح . ، أو كلمة تنتصب تحت أشعة الشمس الساطعة

( أصوات موج يتراعى على الشيطان )

الغريب : لا حقائب .لا أوراق للنقد ولا شيكات .لا ادخار للطعام .البحر أعطى . والبحر أخذ

يبدو شاردا وهو ينظر إلى الشباك التي تتعاقب عليها الألوان، مع أصوات الأمواج التي ( تتراعى على الشيطان

الغريب : الطعنة جاءت إلى صدري .الدم .دمي كان قد امتزج بتدفق الأمواج وأنا اضحك ، وأهبط إلى القيعان . أخرجت قلبي ونظرت إليه وهو ينزف .طهرته بماء البحر ثم رددته إلى مكانه ، والتأم الجرح ، الذي طعني كان أخي الذي ربما يكون اليوم مصابا بالذهان ، أو ابني الكهل ، الذي ربما يكون قد عاد مخمورا ، ولم يتعرف علي ، ولربما كانت تلك العجوز المشلولة هي التي طعنتني ، يوم كانت بيننا ذكريات . لعلمهم المرابون ، أو القتلة ، أو تجار العملة ، أو المهربون ، فأنا نسيت من طعني ولم اعد أتذكر سوى الطعنة ، وقلبي النازف ، والموجة التي أوقفت النزيف ، والجرح الذي لأمته أعشاب الجزر .لكن ما كان قد كان ، فأين هم الآن ؟ ها أنا أنتظر ، والمنديل الذي أعدته للتحية يتراقص في جيب السترة ، وأنالمي الراعشة لا تجرؤ على إخراجها ، مخافة أن ألوح به لأحد لا يعرفني ، فيظن بي الظنون ، أو يتصورني عجوزا أخرق ، أو تاجر عملة ، أو نصابا ، أو صاحب فندق صغير يعرض غرفة على الغرباء، أو لوطيا أو قوادا عجوزا ، أو مجنونا أو مصابا بالذهان .وأنا لست هذا ولا ذاك

ينطفئ الضوء .يجلس الغريب في وسط الخشبة ، ويشعل شموعا .تظهر حوله القواقع ( البحرية ، وقوارير خمر فارغة ، وشباك يلتف حولها أو تلتف حوله ، ويهمهم بكلمات ذات (إيقاع تشبه أغنية

الغريب : م .مم.مم.مم.مم

( يشعل دخينة ويدخن .تسلط الأضواء على الدخان الذي ينتشر على الخشبة )

الغريب : لعله يأتي من وراء هذا الدخان .لعلها تجيء .ربما يعودون من وراء



هذا الدخان. الضباب والغيـم والسحاب . أنا ركبت سحابة وسافرت . النجمة القطبية . هدير البحر . الليالي . الشراع المخروق الذي مزقته الريح . الأنواء والعواصف ، الوشم . أغاني البحارة . الميلان .

. ( يصطنع حركات ميلان نحو الجانبين ، وكأنها حركة باخرة تحملها الأمواج وتميل بها )

الغريــــــــــــــــب : وحتى وإن لم يصلوا إلى هذه المدينة ، فأنا لن أخسر شيئاً ، لقد تعودت على الانتظار .

. ( ينفث الدخان بقوة )

الغريــــــــــــــــب : هذه المدينة ليست مدينتي . كل ما أتذكر من مكان ولادتي هو وجه أمي ، ودفاتري المدرسية ، وتلك العنزة التي كنت أضع من ثدييها ، وأنا لا أتذكر اسم ذلك المكان . أما تاريخ ولادتي فربما يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، أو إلى القرن الخامس أو السابع الميلادي ، أو إلى القرن الثاني والعشرين . والتواريخ لا تهمني ، والمهم هو أن البحر كان موجوداً قبل المسيح ، كما كانت الجزر ، والنجوم ، والنساء واللصوص والقتلة .

. ( أمواج . أصوات غامضة . أضواء تبت بشكل عشوائي على الخشبة )

الغريــــــــــــــــب : الدوار . هذا هو دوار البحر . الدوار يرافقتي حتى وأنا هنا على الرصيف ، لعله الدوار الذي تشعر به وهي على ظهر السفينة . والسفينة تمخر العباب ، في ليل شتائي تهزه الأنواء والعواصف حالتها انتقلت إلي حتى وأنا هنا .

. يقف في وسط الخشبة و يمسك برأسه ويدور عدة دورات حول نفسه )

. زعيق إحدى البواخر

. يتجه الغريب نحو الباخرة مدهوشاً

تسلط الأضواء على الباخرة . حيث يظهر المسافرون وهم يتأهبون للنزول ، ويلوحون بالمناديل .

. ( موسيقى مصحوبة باللغظ

الغريــــــــــــــــب : ها هي . لا بد أنها قد جاءت مع هذه الباخرة . كنت أعرف أنها لا بد أن

تأتي قلبي عندما ينبئني لا يكذب علي. الآن بإمكانني أن أخرج المنديل من جيب السترة .لا القبعة أفضل. سألوح لها بقبعتي ، فهي تستطيع أن تشم عرقي القديم الذي تلبد على هذه القبعة .

الركاب ينزلون السلم .شيوخ وشبان ، يحملون الحقائب. شابات شقراوات ونساء عجائز ( يتحولون جميعا إلى مستقبلين .تظهر من بينهم تلك العجوز الخرقاء .بنفس أوصافها السابقة . وكأنها عائدة من سفر جديد . يقترب منها الغريب .يحدق فيها بنظرات متفحصة. ( ينزع قبعته ويلوح لها بها

العجوز الخرقاء : آه! أنت ؟

. ( تقترب منه ، وتنظر إليه باستغراب )

العجوز الخرقاء : ما اسم هذه المدينة ؟

. الغريب : ( مرتبكا ) : كنت أنتظر أن تناديني باسمي وتعانقيني

العجوز الخرقاء : أنت ؟

الغريب : أنسيته ؟

العجوز الخرقاء : وكيف أتذكر ؟

. الغريب : يمكنك أن تشمي عرق هذه القبعة .رائحة عرقي سوف تذكرك

العجوز الخرقاء : أتذكر ماذا؟ ماذا أكون قد نسيت ؟

الغريب : تتذكرين شعرك يوم كان اصفر ، واحمرار وجنتيك لحظة .أقرصهما ، وحلمتك التي كانت تنفر تحت أشعة الشمس، والجزر

العجوز الخرقاء : آه ، أنت قرصان ؟

... الغريب : أبدا .أنا

. العجوز الخرقاء : إذن فأنت مراب



. العجوز الخرقاء : أنا ذاهبة . هل توجد عربات بباب الميناء

الغريــــــــــــــــب : إلى أين ستذهبين ؟

العجوز الخرقاء : هل هناك مراقص في هذه المدينة ؟

الغريــــــــــــــــب : أتحبين الرقص ؟

... العجوز الخرقاء : إياك أن أن تكون

الغريــــــــــــــــب : أنا ؟

...! العجوز الخرقاء : ربما ...! لعلك

الغريــــــــــــــــب : أنت طرح البحر . هذا ما طرحه البحر . خشب مسوس . قارورة  
خمر فارغة . حذاء جندي غرق في البحر . سمك ميت . أنت لي . هذا الرصيف في ليالي  
وحدتي يتحول إلى واحد من شيطان الجزر . وكل ما يطرحه البحر ، يصلح لأن يكون هدية  
ممتازة

العجوز الخرقاء : هل أنت حوذي ؟ أين العربية ؟ ساعدني على

. الصعود . ألهب جواديك بالسوط . وانطلق

الغريــــــــــــــــب : إلى أين ؟

. العجوز الخرقاء : إلى بيت الموتى

الغريــــــــــــــــب : لماذا ؟

. العجوز الخرقاء : هناك توجد جثة أخي الذي غرق في البحر

الغريــــــــــــــــب : كان صيادا ؟

. العجوز الخرقاء : لا . لم يكن

الغريــــــــــــــــب : كان بحارا ؟

. العجوز الخرقاء : لا

الغريب : كان قرصانا ؟

العجوز الخرقاء : لا . ولماذا أردته أن يكون كذلك؟

الغريب : كان جنديا ؟

. العجوز الخرقاء : لا

... الغريب : كان

العجوز الخرقاء : لا

... الغريب : كان

العجوز الخرقاء : لا . ولكن ربما ! كيف عرفت ؟

الغريب : أنا لم أعرف شيئا ، ولكنني أتوقع أن يكون ابني الذي يشبهني كثيرا ، ولن أعرف عليه إلا من خلال الشبه . ستكون تلك الكدمات الزرقاء قد ظهرت حول حدقتي عينيه . لا شك أنه سيكون قد عاد مخمورا أرجو ألا يكون ابني ذلك الغارق في البحر ، والذي جئت تبحثين عن جثته في بيت الموتى

! العجوز الخرقاء : ابنك ؟ ها أنت الآن تتباهى علي بأن لك ابن

الغريب : أتباهى ؟

العجوز الخرقاء : قلت لك ساعدني على الصعود إلى العربة أيها الحوذي الغبي . آه كم أنت  
! ثرثار

. الغريب : أنا عاشق

العجوز الخرقاء : عاشق ؟ وماذا تعشق ؟

. الغريب : سيكون السمك قد اقتلع عينيه ، لكنني سوف أعرف عليه

العجوز الخرقاء : من هو ؟

الغريب : \_\_\_\_\_ ب : ابني

العجوز الخرقاء : ابنك ؟ ألم تقل إن ابنك قد غرق ورماه البحر على شاطئ هذه المدينة

. الغريب : \_\_\_\_\_ ب : أنا لم أقل ذلك

العجوز الخرقاء : هل سنسهر هذه الليلة في أحد المراقص ؟

. الغريب : \_\_\_\_\_ ب : لكنك لم تتعرفي على رائحة عرقي وقد تلبدت على هذه القبعة

. العجوز الخرقاء : أنت ثرثار ! لقد ضيعت وقتي .أنا ذاهبة

تنسحب . يكون الحمالون قد تركوا حقيبتين في وسط الخشبة. ينظر الغريب إليهما ( .  
ينحني عليهما ، يلمسهما بأنامله. يشم رائحتهما

الغريب : هذه لي ، وهذه لها .لقد عرفت أنها قد تركت لي حقيبتها. أليست هذه تحية منها ،  
أو تعبيراً عن الحنين والذكرى ؟ آه ! هذه حقيبتني ! الآن عرفت أنني عائد من الجزر إلى  
. هذه المدينة لأبدأ غربة أخرى

. (يحمل الحقيبتين ويخرج)

. موسيقى

النهاية

## تحفة النظر



عن رحلة ابن بطوطة

**الطبعة الأولى: دفاقر المدرسة العليا للأساتذة، تطوان، يونية 1999**

تقديم: من تراثنا الجميل إلى إحساس جديد بالعالم فكرة الرحلة كمغامرة بالذات لاكتشاف العالم، هي فكرة مضاعفة التأويلات والرموز، كما هي الحياة نفسها، وحياة (الرحالة) الثاوي فينا جميعا. إلا أن الرحالة الحقيقي، لا يعوض الرحالة الرمزي، فالعودة إليه هي ما يصنع الرمز، فقد كان الحكيم الساحر للفتى الطنجي، ابن بطوطة، يحمل ممكناته لأن يتحول إلى عرض مسرحي. وإذا كان رهان المسرح على المشاهدة، بتجليتها، وتحويلها للمحكي إلى مشاهد، فإن حكاية (شمس الدين) مع الرحلة لا يمكن أن تحيل في زماننا إلا على اعتبارين: الأول: تشخيص تفاصيل الرحلة عبر اختزالات خانة لها. الثاني: جعل هذه التفاصيل تتأسن وتتخص وتصطبغ بدم الحياة لكي تقنع بفضاء الفرجة المسرحية. إن المسرح في الأصل، هو تحفة للناظرين، أي أنه إمتاع وموانسة بتعبير أبي حيان الذي استوحاه الطيب الصديقي، ولن نروم غير ذلك في هذا العرض، وإن كان هذا المبدأ يفسح مجالا للاقتراب من علاقة المسرح بالتراث، وبين الكتابة وتاريخها، وهي إشكالات تتسع لمساحات واسعة من الاجتهادات والابتكارات التي لا يمكن لأحد أن يلغي فيها فضل ما قدمه السابقون، كاشتغال على المفارقة بين التراث والمعاصرة، أو جعل التراث معاصرا لنا، بواقعه ورموزه التاريخية، وباقترابه من ذواتنا، وفي اتجاه خلق فضاء للفرجة يراهن على الجمالي والإبداعي أينما وجدت مادته وكيفما وجدت، لأنها كمادة، تصاغ صياغة جديدة. إن رحلة ابن بطوطة في هذه المسرحية، هي حضور ترميزي لرحلتنا نحن في الأماكن الجغرافية وهي تتحول وفي أماكن المتاه، وفي أزمنة الأماكن وأزمنة السديم، وهو ما يمكن أن يبني صورة تجريدية عن علاقتنا بالرحلة، وعن متخيل هذه العلاقة. نرحل في الماضي لبناء صورة عن الحاضر والمستقبل، وعبر موروثنا الثقافي، إذا كان ابن بطوطة قد جاب الأفاق، فقد كان مدفوعا إلى ذلك بدوافع داخلية هي الرغبة في الكشف والاكتشاف، والدهشة والمصاحبة والتلذذ باقتحام مناطق الخطر، وكل هذه المظاهر، ليس من المصادفة أن تكون جامعة لبعض المظاهر الإنسانية، كما تجمع بين رحلة الواقع وبين رحلة الرمز،

فمن المواقف التي يخضر فيها الخوف إلى أخرى فكاوية ساخرة، ومن مواجهة الموت إلى لحظات التمتع بالغناء، ومن التصوف إلى بذخ الطعام واللباس، ومن الغربة إلى طنجة ومن طنجة إلى الغربة. لكن أجمل المفارقات، هي أن ينتبه (شمس الدين) إلى قابلية ما أملاه من رحلاته على ابن جزي الكلبي للمشاهدة، فأسمى رحلته (تحفة النظار)، متوقفا لها أن تكون منظورة، أي أن شرطها هو أن تتحول من القراءة إلى المشاهدة، ولم لا، فعلى خشبة المسرح، في هذه المرة. هل يمكن ل (ابن بطوطة) أن يكون معاصرا لنا؟ ذلك ممكن، وبدرجة محاولة جعلنا في موقع تجربة رحلاته، وبدرجة قدرتنا على تلقي ومشاهدة عالم هو غير عالمنا، لكن عالمنا يزخر بمظاهر ذلك العالم. المشهد الأول (يسلط الضوء على وسط الخشبة، حيث يظهر ضريح على شكل قبة خضراء تشبه زهرة تتفتح وريقاتها ببطء). (موسيقى جبلية تحيل على طنجة) (من داخل القبة التي تكون قد تفتحت بكاملها يصعد شمس الدين بزي عربي وهو يرتدي قفطانا أخضر تحته فرجية بيضاء، لحيته شيباء، إذ يظهر وهو عجوز في الخامسة والسبعين. يصعد بحركات بطيئة وكأنه مشدود إلى الأسفل) (تسلط عليه الأضواء. تخفت الموسيقى. تسمع هسهسات وهمسات وأصوات غامضة. يقف وهو ينظر حواليه). (صمت). (يشير بسبابته إلى نفسه). شمس الدين : أنا؟ أهذا أنا؟ هل أنا شمس الدين؟ هل أنا أصعد من الحفرة؟ كيف؟ هل صار قبري ضريحا؟ أين أنا الآن؟ (يجول بنظره في الخشبة. يتأمل الجمهور، و: إنه يكشف المكان الذي يوجد فيه). شمس الدين : هل أنا من كان يقول : لا بد من طنجة وإن طال السفر؟ سواء أكان هذا القبر في طنجة أو في غيرها فالموت واحد. قاضي الأنكحة بتونس مات وهو يتوسد ذراعي، مات في مليانة وقد تجاوزنا بتلمسان بمسافة معودة. كان ذلك إبان القيظ وقد خشينا أن تتعفن جثته. لكنني في تلك الليلة التي مات فيها القاضي وهو يتوسد ذراعي لم أتم، أحسست أنني سوف ألحق به بعد وقت وجيز، ولكن العمر يطول أحيانا. (ينظر حواليه ويأمل الضريح الذي صعد منه). من أعادني إلى الحياة؟ أهو مؤلف هذه المسرحية ومخرجها؟ أرى جمهورا ومسرحا فهل أنا ممثل في هذا المسرح؟ هل أراد المؤلف أن يحرر لساني حتى أتذكر وأروي لكم ما شاهدته من عجائب وخرائب في رحلاتي، وما عشتها من أهوال؟ لماذا جاء بي المؤلف إلى هذا المسرح؟ لاشك أنه لا يؤمن بالزمان والمكان، كحال الشعراء والمتصوفة والمجانين، وكم لقيت منهم في رحلاتي. (يصمت لحظة. يجول في الخشبة وهو يتأمل الجمهور). شمس الدين : أه. أنتم هنا؟ ها أنا مرة أرى أحط قدمي على أرض طنجة وكأني سوف أرحل رحلة رابعة، معكم، وقد جئت إليكم من القرن الثامن الهجري، ومولانا أبو عنان يتربع عرش بني مرين، في فاس المحروسة، ولدي أخبار وتجارب وحكايات. (لغظ. تداخل أصوات بلغات مختلفة. أنواع من موسيقى الشعوب التي زار بلدانها ابن بطوطة وهي تتداخل. يقف مصغيا وهو في حالة ذهول). شمس الدين : (يمسك رأسه بيده) أه. ذاكرتي توجعني. المواجه والذكريات كلها تستيقظ. يأتي إلي العالم هكذا، في لحظة واحدة، وأنا من ذهبت إليه وتحملت لمشاق؟ هل يأتي إلي العالم وأنا في طنجة؟ (تسمع أصوات أذان، ونواقيس كنائس، وتلاوات تعبدية). شمس الدين : سمعت كل هذه الأصوات وأنا في البلدان. ديانات وعقائد. قضاة وملوك وتجار وضعفاء وأسافل وقتلة. وديان وجبانات، والكعبة المشرفة، وبيت المقدس، وقاسيون وبردى. أصوات أسمعها تأتي إلى من كل الأماكن. وها أنا أسمع ما ذكرته لابن جزي عن الياقوت والقرود والعلق الطيار والعود الهندي والقرنفل ودجاج الصين. ها أنا أسمع كلامي وأشم الروائح من أسواق تلك



البلدان. ( يرتفع اللغظ. أصوات مزايدات على البيع والشراء في الأسواق بلغات مختلفة. نواقيس تدق. صفير رياح وزعيق بواخر. تظهر الحيرة في نظرات شمس الدين). شمس الدين : ولكن أين أنا الآن؟ هل أنا في طنجة التي كان لابد منها وإن طال السفر؟ قبيلة لواتة تعرفني، فيها ولدت، فأنا محمد اللواتي، عرفت بابن بطوطة، ولقبوني بشمس الدين. صوت آت من الضريح : يا شمس الدين. شمس الدين : (يستدير نحو جهة الصوت) نعم. صوت آت من الضريح : أين أنت الآن؟ شمس الدين : أنا في رحلة رابعة هي التي لم أرحلها. صوت آت من الضريح : رحلة رابعة؟ أو لا تعود إلى قبرك؟ شمس الدين : سأعود، ولكن بعد أن أرحل مع جمهور هذه المسرحية رحلة رابعة. صوت آت من الضريح : جمهور؟ أي جمهور؟ شمس الدين : هذا الذي أراه أمامي، فأنا أراه وأنت لا تراه. ( يدخل الخشبة ابن جزي الكلبى من الجانب الأيمن، وسط الظلام، ويجلس على كرسي، ثم تسلط عليه الأضواء، فيظهر جالسا وفي يده كتاب ضخم مفتوح. يلتفت نحوه شمس الدين). شمس الدين : أهذا أنت؟ من أين أتيت؟ اللعنة عليك يا ابن جزي الكلبى. ابن جزي : أتلعني يا شمس الدين؟ شمس الدين : الهنود صادروا أوراقي، وأنت كتبت عني ما كنت أمليه عليك من رحلاتي ولكنك كنت تكتب عن نفسك، فلم أجد شيئا من رحلاتي فيما كتبت، أعجبت الخيال فزدت علي في الكلام أيها الكلبى، ولولا الفالج الذي كان قد أصابني وشل يدي لكتبت رحلاتي بنفسى. ابن جزي : مولانا السلطان أمرني بأن أكتب عنك. شمس الدين : وماذا كتبت؟ تحفة النظر بقيت في الهند بعدما سلبها مني الهنود مه ما سلبوه من أموالى ومتاعى. أما كان عليك أن تقول لمولانا السلطان إن التجارب المرة لا تكتب مرتين، وأن أحدا لا يكتب بالنيابة عن الآخر؟ ابن جزي : أراك غاضبا يا شمس الدين. شمس الدين : ما علينا. اقرأ. اقرأ ما كنت قد كتبتة عني. ابن جزي : أو لا تعرف ما فيه وأنت من أملاه علي؟ شمس الدين : أريد أن أسمع. فلاشك أنك تتحدث عن ابن بطوطة آخر، لا عني أنا. فما وقع لي . . . ابن جزي : ماذا وقع يا شمس الدين : شمس الدين : اقرأ ولا تطل في الكلام. ابن جزي : الحمد لله الذي نزل الأرض لعباده ليسلكوا منها فجاجا، وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتا وإعادة وإخراجا، دحاها بقدرته، فكانت مهادا للعباد، وأرساها بالأعلام الراسيات والأطواد، ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد، وأطلع الكواكب هداية في ظلمات البر والبحر، وجعل القمر نورا والسماء سراجا، ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد الممات، وأنبت فيها من كل الثمرات . . . شمس الدين : يا ويحي! ماذا تقول بفصاحتك يا ابن جزي؟ أنا رأيت هذه الأشياء وعشتها ورأيت أبهر منها وأعجب وأغرب. أنت ظالم يا ابن جزي. لا تخدعني بتدبيج الكلام وأنا من عاش الأهوال ورأى الشدائد في البر والبحر والصحراء. يا ويحي! هل أنا شمس الدين الرحالة، أم أنا التيه في الزمان والمكان؟ أنا المزواج المطلق، رجل التقوى والورع والصبوات، قرأت ما في العيون من نظرات، أفيها المحبة والصفاء والإخاء أم فيها الغدر والخيانة والرغبة في القتل. كنت أثق فيمن أعاشرهم وأرحل معهم في البحر أو في البلدان، وبثقتي في الناس عاشرتهم فوجدت منهم الخُلصَ الأوفياء والغادرين الخبيثاء، فكشفت واكتشفت وما أنا سوى راغب في الاطلاع على كل غريب وعجيب، لم يأجرني أحد للقيام بشيء، ولا كنت جاسوسا لأحد كما حسبوني في الهند، قابلت الملوك وبت في العراق على الطوى وقصت علي الأخبار، ورأيت أناسا يعيشون على العادات والعبادات على اختلافها، كما شربت من كل الأنهار وأكلت مما لا يؤكل، فما بالك تبدأ بكلام بليغ، والحال أن ليس من رأى كمن سمع؟ ابن جزي : لا تعيب

علي حالي يا شمس الدين، فأنا مأمور من قبل مولانا السلطان بأن أكتب عنك. استمر، فأنا أكتب كل ما تقول. ( يظهر ابن جزري وهو يقوم بحركات عشوائية تشبه الكتابة). شمس الدين : وهل ستضيف هذا الكلام لما سبق أن كتبت؟ ابن جزري : سمعتك تتحدث عن رحلة رابعة، وما علمت منك إلا برحلات ثلاث. شمس الدين : الرحلة الرابعة ليست لك. ابن جزري : ومن سيكتبها لك يا شمس الدين؟ شمس الدين : لا داعي لأن تكتب، وربما سأكتبها بيدي المشلولة هذه. لن يستولي عليها الهنود في هذه المرة، ولن تضع كما ضاعت رحلاتي الثلاث. ابن جزري : ورحلتك الأولى؟ شمس الدين : ورحلتي الثالثة؟ كلها رحلات. قلت لك إنني قد خرجت من طنجة وأنا ابن الثانية والعشرين، وكنت قد تورعت ورغبت في الحج إلى بيت الله الحرام، حتى وجدت في طريقي من تنبأ لي بزيارة الهند والسند وبلاد الصين، ولقد صدقت تلك النبوءة. لكنني فارقت طنجو كما يفارق الطير وكرهه، وكان لا بد من طنجة وإن طال السفر. ابن جزري : استمر يا شمس الدين، فأنا أكتب عنك. ( يظهر ابن جزري وهو يخط على الصفحات بأتمله، خطوطا طائشة). ابن جزري : استمر يا شمس الدين. شمس الدين : انهض عني وغادر هذا المكان. ألم تر قبيري؟ هذا ضريح ابن بطوطة، وأنا عائد إليه، فقد مضى كل شيء وولى الزمان، ومولانا السلطان صار في خبر كان. (يلتفت يمينا ويسارا) أين هو حارس المقبرة؟ ( يصرخ ) أيها الحارس أخرج هذا الوغد من هذا المكان. ( يدخل رجل بري حارس المقبرة، ويمسك ابن جزري من ذراعه ثم يُخرجه ويخرج معه من جانب الخشبة. يبقى شمس الدين واقفا، تخفت الأضواء شيئا فشيئا. يرتفع لغط بكل اللغات مصحوبا بموسيقى متداخلة لكل البلدان التي كان قد زارها ابن بطوطة. تتوقف الموسيقى . ظلام). المشهد الثاني (زاوية لأحد المتصوفة، حيطانها بالية، بسط وساعة حائطية عتيقة وشموع منطفئة. تتجه هالة من الضوء نحو شمس الدين وهو يجالس أبا عبد الله المرشدي، وهما يرتديان جلبابين أسودين من الصوف الخشن. نقر دفوف. ترديد لأصوات الجذب والحيرة. يظهر شطح المتصوفة وردحهم بواسطة خيال الظل، في جانب من الخشبة، طوال المشهد). أبو عبد الله : مرحبا بك يا شمس الدين في خلوتنا. أنت الآن في مدينة فوا، ولعلك وأنت في طريقك إلينا قد لاحظت منظرها العجيب وبساتينها الكثيرة. شمس الدين : شكرا لك يا سيدي الشيخ. كلهم نصحوني بزيارتي لك والتبرك بك، فمن يوزر فوا ولا يزور الشيخ أبا عبد الله المرشدي، كأنه لم يزرها. أبو عبد الله : هذا من فضل الله. شمس الدين : وكما تعلم يا سيدي الشيخ فأنا في طريقي إلى الحج، لأؤدي المناسك إن شاء الله. أبو عبد الله : سوف تحج وتزور، وإذا وصلت إلى دمياط فستلقي بالشيخ جمال الدين، وعليك ألا تعجب من لحيته الحليقة وحاجبيه الحلقيين، فقد كان جميل الوجه حسن الخلقة فاتنا للنساء، قد راودته امرأة أعجبت بجماله ولجأت إلى حيلة حتى أدخلته دارها، فلما همت به طلب منها أن تريحه بيت الخلاء، ولما دخله أخرج موسى حلق بها لحيته وحاجبيه، ولما خرج استقبحته المرأة وكفت عنه، ومنذ ذلك الحادث وهو يحلق لحيته وحاجبيه، حتى تكف عنه النساء. شمس الدين : هو الشيخ جمال الدين، مشهور في دمياط، وقد سمعت عنه، فهو من رجال الله. أبو عبد الله : ولكن يا شيخ شمس الدين، هل تعرف أنه لزم مقبرة دمياط؟ شمس الدين : قيل لي ذلك. أبو عبد الله : لما خرج أحد القضاة إلى جنازة أحد الأعيان، وكان راكبا دابته، فقد استنكر عليه الشيخ جمال الدين أن يسير في جنازة وهو راكب، مع صحة بدنه وقدرته على المشي مع الماشين، فرد عليه القاضي بأن أعظم من ذلك ما يفعله هو، من حلق لحيته وحاجبيه، وفي الحال زعق الشيخ جمال الدين

زعقة عظيمة ثم رفع رأسه، فإذا هو ذو لحية سوداء وحاجبين كثي الشعر، فنزل القاضي عن دابته، ثم زعق الشيخ جمال الدين زعقة ثانية، فإذا هو ذو لحية بيضاء وحاجبين أشيبين، وزعق زعقة ثالثة، فإذا هو بدون لحية ولا حاجبين كما كان على هيئته الأولى. شمس الدين : سبحان الله. أبو عبد الله : ولكن، حدثني يا شيخ شمس الدين عن البلدان التي مررت بها في طريقك. شمس الدين : خرجت يا سيدي الشيخ أبا عبد الله من طنجة، وقد عزمت أمري على مفارقة وطني مفارقة الطيور للوكور، فوصلت إلى مدينة تلمسان وسلطانها أبو تاشفين بن زيان، ثم وصلت إلى مليانة، ومنها سافرت إلى بجاية فأصابني الحمى وأقيمت بها حتى تمكنت من البرء، فوصلت إلى مدينة قسنطينة وبعدها بوية، ثم تونس وسلطانها من بني حفص، ومنها ذهبت إلى سوسة و صفاقس، ومن قابس قصدت طرابلس ومسالة ومصراته وقصور سرت، حتى وصلت إلى مدينة الإسكندرية فقابلت قاضيها عماد الدين الكندي وهو إمام من أئمة علم الكلام، ومن عجب أنه كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم. أبو عبد الله : كيف ذلك يا شيخ شمس الدين؟ شمس الدين : لم أر يا أبا عبد الله في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها، وقد رأيت يومًا قاعدا في صدر المحراب وقد كادت عمامته تملأ المحراب. أبو عبد الله : أو تخبرني بهذا وكأني لا أعرفه؟ شمس الدين : عفوك أيها الشيخ، فأنا أعلم أنك تعلم ما لا نعلم. أبو عبد الله : ومن صادفت من العلماء والمتصوفة؟ شمس الدين : صادفت منهم من لاحظوا حبي للسياحة والجولان في البلاد، فشجعوني على ذلك، وقد لقيت منهم رجلا يلقب مثلي بشمس الدين، فقال لي لا بد إن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند، وأخي ركن الدين زكرياء بالسند، وأخي برهان الدين بالصين، فإذا بلغتهم فأبلغهم السلام، وعجبت لاختوته كيف تفرقوا في الأرض، ولما أبلغته عجبني قال لي إنه يجتمعون في المحبة. أبو عبد الله : كلام جميل، والمحبة هي التي جمعتني بك يا شمس الدين، وإنك إن شاء الله لبالغ كل هذه البلدان. ولكن، أخبرني بم تستعين؟ شمس الدين : أستعين بالله وبكتابه العزيز، وبعده أستعين بحرب البحر. أبو عبد الله : وما هو حزب البحر يا شيخ شمس الدين؟ شمس الدين : كلام لأبي الحسن الشاذلي، حفظته عن ظهر قلب، وهو دعاء للخروج من الشدة في أوقات الضيق. أبو عبد الله : وما يقول فيه؟ شمس الدين : من بين ما يقول فيه : سخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة. أبو عبد الله : وماذا رأيت في الإسكندرية يا شيخ شمس الدين؟ شمس الدين : رأيت فيه يا شيخ أبو عبد الله المنار، وهو بناء مربع ذاهب في السماء، بابه مرتفع عن الأرض، وإزاء بابه بناء بقدر ارتفاعه، بين الباب والبناء وضعت ألواح خشب للعبور بينهما. ولقد رأيت عمود السواري وهو من غرائب المدينة، هو عمود من رخام يتوسط غابة نخل ولكنه يعلو عن أشجارها سموقا وارتفاعا، وهو قطعة واحدة محكمة النحت، أقيم على قواعد من حجارة مربعة أمثال الدكاكين العظيمة. أبو عبد الله : ما رأيت قليل من كثير ستراه إن شاء الله. شمس الدين : أطلب منك التبرك يا شيخ أبو عبد الله المرشدي. أبو عبد الله : بارك الله فيك يا شيخ شمس الدين. والآن نأكل طعاما ثم نشطح ونردح من الشاطحين والرادحين في حيرة نذكر فيها اسم الله. ( يصفق أبو عبد الله المرشدي بيديه، فيدخل درويش بيده خبز و صحن به زيتون أسود وإناء به زيت، ويضع الطعام أمامهما. يأكلان. يرتفع نقر الدفوف. يتحول الشطح والرذح من خيال الظل إلى مثول على الخشبة بدخول جماعة من الدراويش، يشطحون ويردحون). الدراويش : الله حي . الله حي . الله حي. ( ينهض أبو عبد الله وشمس الدين

للمشطح والردح). شمس الدين وأبو عبد الله والدرراويش : الله حي . الله حي. الله حي. ( تخفت الأصوات تدريجيا، ويخف الضوء حتى يعم الظلام). المشهد الثالث (زقاق ضيق في مدينة تقع في الشرق، تظهر عليه المشربيات التي تبدو منها الأضواء كما هي في الداخل، تسمع منها أحاديث وضحكات. الوقت ليل. أنوار خفيفة تنبعث من مشاعل الإضاءة. شمس الدين يسير في الزقاق وهو يرتدي جبة بيضاء. يمر طابور من عسس الليل. يتوقف الطابور أمام شمس الدين). أحد العسس : قف . من أنت؟ شمس الدين : أنا شمس الدين. أحد العسس : شمس الدين من؟ شمس الدين : أنا محمد اللواتي، الملقب بشمس الدين. أحد العسس : اللواتي؟ من أي بلد أنت؟ شمس الدين : من المغرب. أحد العسس : وهل اتسعت لك أرض الله على ضيق هذا الزقاق، حتى جئت من المغرب إلى هذه الأرض الواسعة؟ شمس الدين : أرض الله دائما واسعة. أحد الحراس : لكن هذا الزقاق ضيق . شمس الدين : هذا الزقاق كخرقة الصوفي، يبدو لك ضيقا ولكنه يتسع لأن يحل فيه الله. أحد الحراس : هل تعرف في أي بلد أنت؟ شمس الدين : كلها بلدان في أرض الله. لعلي في .. في الإسكندرية، أو دمنهور، أو النحراوية، أو أبيار، ولعلي في المحلة، أو دمياط. أحد الحراس : هل أنت محشش؟ شمس الدين : أنا ؟ أعود بالله. أحد الحراس : قلت دمياط ؟ فما فيها رأيت قبل أن تدخل هذا الزقاق؟ شمس الدين : قبل حين قابلت فيها الشيخ جمال الدين. أحد الحراس : ومن هو الشيخ جمال الدين؟ شمس الدين : إذا كنت لا تعرفه فهو يعرفك. أحد الحراس : هل هو أمير؟ شمس الدين : لم يرض بأن يكون أميرا على الحمير. أحد الحراس : هل تتحدث عن ذلك الذي يخلق شعر لحيته وحاجبيه؟ شمس الدين : أنت الآن قد عرفته. أحد الحراس : ولكنه في دمياط، وليس هنا. فهل تعرف المكان الذي أنت فيه؟ شمس الدين : هنا أو هناك، لا فرق. أحد الحراس : قل لنا أين أنت الآن . ( تسمع ضحكات داعرة من المشرفيات، تصل إلى الزقاق بأكمله، مصحوبة بقهقهات سكارى) شمس الدين : لعلي في مصر، وهي أم البلاد وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة والبلاد الأريضة، وبها ما شئت من عالم وجاهل، وجاد وهازل، تموج موج البحر بسكانها، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها وإمكانها، قهرت قاهرتها الأمم، وتمكنت ملوكها من نواصي العرب والعجم، كريمة التربة، مؤنسة لذي الغربية. والمصريون يبنون بالقرافة القباب الحسنة، ويجعلون عليها الحيطان فتكون كالدور ويبنون بها البيوت، ومنهم من يبني الزاوية والمدرسية إلى جانب التربة. أحد الحراس : والله مغربي، ويعرف مصر أفضل منا نحن المصريين. أحد الحراس : لكنه لم يقل شيئا عن النيل. شمس الدين : النيل يفضل أنهار الأرض مذاقا وعضوبة، واتساع قطر، وعظم منفعة، والمدن والقرى بصفته منتظمة ليس في المعمور مثلها، وليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره، فهو يسمى ببحر النيل. أحد الحراس : ومن هو الملك في هذا الزمان ؟ شمس الدين : الناصر سيف الدين قلاوون. أحد الحراس : يا ويلي . هذا المغربي يعرف الملك. أحد الحراس : تعرف مولانا الناصر؟ شمس الدين : هو يقعد للنظر في المظالم كل يوم إثنين وخميس. القضاة الأربعة عن يساره، وعلى يمينه من يسأل صاحب القضية عن قضيته. وهو يحب العلماء، ومن المقربين إليه شمس الدين الأصبهاني إمام الدنيا في المعقولات، وشرف الدين المالكي، وبرهان الدين الشاذلي نائب قاضي القضاة. أحد الحراس : يا ويلي. لقد وقعنا. عفوك أيها المغربي، فقد حسبناك .. . أحد الحراس : وما ذنبنا؟ فقد حسبناه .. . أحد الحراس : ثم ماذا يفعل في هذا الزقاق؟ نحن نقوم بواجبنا لحماية الأمن. أحد الحراس : الرجل عالم، ويعرف مولانا

الناصر سيف الدين قلاوون. أحد الحراس : هو يعرف مولانا الملك، ولكننا نحن لا نعرفه،  
وها قد عرفناه. أحد الحراس : نتشرف بمعرفته مع كأس شاي في المقهى. شمس الدين :  
لا وقت لي ، وأنا لا أرتاد المقاهي. أحد الحراس : هل نوصلك إلى مكان؟ شمس الدين :  
لدي كل الوقت للوصول إلى حيث أريد . أحد الحراس : لكنك لم تحدثنا عن يوم الجمل.  
شمس الدين : هو يوم دوران الجمل. يوم مشهود، يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت  
المال والمحتسب وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة، ويقصدون جميعا باب القلعة، دار الملك  
الناصر. أحد الحراس : وما المدن التي مررت منها؟ شمس الدين : بت ليلة خروجي في  
الرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين، ومررت بمنية القائد، وهي مدينة صغيرة على ساحل  
النيل، ثم سرت إلى مدينة بوهي، ومنها يُجلب الكتان إلى سائر المدن المصرية، ووصلت  
إلى مدينة دالاص، ومدينة ببا، والبهنا، ومدينة منية ابن خصيب، ثم مدينة مناوي، ومدينة  
منفلوط، وأسيوط، ومدينة هو، ومدينة قنا. أحد الحراس : أنا قناوي. من قنا. أحد الحراس  
: وأنا أسيوطي، من أسيوط. أحد الحراس : أكمل يا شيخ. شمس الدين : ومن قنا ذهب  
إلى عيذاب، وقوص، وبلييس، والصالحية، التي نزلت بها فندقا يسمونه الخان ينزله  
المسافرون، ومنها سرت حتى وصلت إلى غزة. أحد الحراس : وكيف وجدت غزة؟ شمس  
الدين : هي أول بلاد الشام مما يلي مصر، متسعة الأقطار كثيرة العمارة، حسنة الأسواق،  
وقاضي غزة هو بدر الدين الحوراني، ومنها سافرت إلى الخليل وبيت لحم، ثم وصلت إلى  
بيت المقدس. أحد الحراس : وما وجدت في بيت المقدس؟ شمس الدين : وجدت قبة  
الصخرة التي هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا، ومنها سافرت إلى عجلون،  
ومدينة الرملة، وعكة وصور وطبرية التي كانت فيما مضى مدينة كبيرة بها الحمامات  
العجيبة التي لها بيتان أحدهما للرجال وآخر للنساء، ماؤها شديد الحرارة، ولها البحيرة  
الشهيرة. أحد الحراس : أكل هذه المدن رأيته يا شيخ؟ شمس الدين : وحتى طرابلس  
رأيته، فمنها سافرت إلى حصن الأكراد، ثم إلى حمص، وحماة، والمعرة وسرمين وحلب،  
والقضاة بحلب أربعة للمذاهب الأربعة. ثم سافرت إلى مدينة صهيون، ومن جبل لبنان  
وصلت إلى بعلبك، وهي قديمة من أطيب مدن الشام، تحديق بها البساتين، وتصنع بها  
ملاعق وصحاف تخفي الواحدة منها في جوفها تسعا، إذ يخيل لرأيها أنها صحيفة واحدة أو  
ملعقة واحدة. ومنها ذهبت إلى دمشق، ولها ثمانية أبواب منها باب الفراديس وباب الجابية  
والباب الصغير، وأما قاسيون فجبل في شمالها. ولقد شاهدت أيام الطاعون الأعظم في  
أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين وسبعمائة. أحد الحراس : الطاعون؟ شمس  
الدين : لقد حصد أرواحا كثيرة، وأصاب الناس منه روع شديد. وبدمشق تعرفت على نور  
الدين السخاوي، وهو مدرس للفقهاء المالكي، فجرت الصحبة بيني وبينه، أقمت في بيته  
لأيام رمضان حتى يوم العيد، وقد مرضت في تلك الإقامة فأحضر لي الطبيب، ولما علم  
بنفاد ما كان عندي من مال فقد أعطاني زادا للسفر وزادني عليه دراهم. أحد الحراس :  
فاضل كريم . شمس الدين : ولا أقل منه كرما وفضلا عماد الدين القيصراني، فقد كان من  
عادته متى سمع أن مغربيا وصل إلى دمشق إلا وبحث عنه وأضافه وأحسن إليه، وإن وجد  
فيه الدين والخلق أمر الناس بملازمته، وكان بها عزالدين القلانسي وله مآثر ومكارم  
وفضائل وإيثار. (تسمع من المشروبات ضحكات نسائية خليعة، وقهقهات سكارى) أحد  
الحراس : والآن يا شيخ قل لنا عما تفعل في هذا الزقاق. شمس الدين : منه سأمضي إلى  
مكان مبيتي في خان. أحد الحراس : وهل تسمع الضحكات؟ شمس الدين : أنا أسمع يا

ولدي ما أحب أن أسمع، ولا أسمع ما لا أحب أن أسمع. أحد الحراس : رافقتك السلامة يا شيخ. ( يخرج شمس الدين من جانب الخشبة، ويبقى الحراس يذرعون الزقاق ذهابا وإيابا. تسمع الضحكات النسائية الخليعة وقهقهات السكارى). (يخفت الضوء ويعم الظلام).  
المشهد الرابع (موسيقى الشعوب . ضوء خفيف يصبح هالة تسلط على شمس الدين وهو يجلس في وسط الخشبة، متربعا، وعلامات التأمل والشروذ بادية عليه. في أقصى الخشبة الأيمن يجلس ابن جزي على كرسي وبين يديه كتاب ضخم يخط عليه بأنامله. لا يلتفت شمس الدين إلى ابن جزي، ويبدو كأنه يكلم نفسه). شمس الدين : أكل هذه الأماكن تحضر في آن؟ كيف؟ وحقا، فأين أنا الآن؟ هل أنا في مكة المكرمة أم في واسط أو البصرة، أم أنا في شيراز أو خراسان؟ أمراء مكة وخطباؤها يظهرون أمامي الآن، كما تظهر كسوة الكعبة المشرفة والروضة والقبور التي بها. في واسط كانوا يرقصون على النار، وأنا التتر فسلطانهم هو محمد خدابنده، وهو الذي أسلم من ملوك التتر، واسمه مختلف فيه، فمنهم من قال إن اسمه خدابنده، والاسم ينقسم إلى كلمتين : خذا وتعني بالفارسية اسم الله عز وجل، وبنده، وتعني غلاما أو عبدا، وبذلك يكون معنى اسمه هو عبد الله، وقيلت في اسمه تفاسير أخرى. أما شيراز في أيام قدومي إليها فسلطانها هو الملك الفاضل أبو إسحاق بن محمد شاه ينجو وكان حسن الصورة والسيرة والهيئة، وعسكره تنيف عن خمسين ألفا من الترك والأعاجم لأنه كان لا يأت من أهل شيراز على نفسه، ولذلك لم يبح لهم حمل السلاح، فقد كانوا أهل جراءة على الملوك. ( تدريجيا يعم الظلام مكان جلوس شمس الدين في وسط الخشبة، ولا يبقى باديا تحت ضوء قليل سوى ابن جزي، وقد توقف عن الكتابة. يسלט الضوء على أعمى وهو يدخل الخشبة من جانبها الأيسر، في يده عصا. يبدو وكأنه تائه في المكان. يتطلع إليه ابن جزي. يعم الضوء الخشبة بالتدرج، فيظهر الأعمى وهو يقترب من شمس الدين. يتطلع شمس الدين نحو الأعمى). شمس الدين : أهو أنت؟ الأعمى : أنا يا شيخ شمس الدين. شمس الدين : لماذا عدت ثانية إلى هنا؟ الأعمى : أطلب الماء يا شيخ شمس الدين. شمس الدين : لقد جئت تطلبه من قبل، وسقيتك مما كان عندي من ماء قليل. كنا في طريق العطش وحيث لا ماء، وأما الآن فما أنا أرتاح بجوار قبوري، وليس لي ماء أسقيك منه. الأعمى : كلنا لله يا شيخ شمس الدين. نطلب الرحمة من خالقنا. ولكن هل تذكر؟ شمس الدين : أذكر ماذا؟ الأعمى : وإن فقد نسيت. ألسنت أنا من كان قد سماك باسمك من غير أن تذكره لي فعجبت كيف عرفته؟ شمس الدين : بلى. الأعمى : وكنت أنا قد أمسكت بإصبعك فلم أجد فيها ذلك الخاتم. شمس الدين : وماذا بعد ؟ الأعمى : قلت لي إنك قد وهبت ذلك الخاتم لأحد الفقراء حينما طلب منك صدقة فلم تجد ما تعطيه سوى ذلك الخاتم. شمس الدين : هذا صحيح. الأعمى : وكنت قد طلبت منك أن ترجع في طلب ذلك الخاتم، ففيه أسماء مكتوبة فيها سر من الأسرار. شمس الدين : حينما طلبت مني ذلك عجبت كيف عرفت ما كتب على الخاتم وأنت ضرير. الأعمى : هناك من كان قد أخبرني بما كتب على الخاتم. شمس الدين : وكيف اهتديت إلى أنه كان في إصبعي؟ الأعمى : أعطوني معلومات عنك. شمس الدين : ولهذا جئت تطلب شربة ماء. الأعمى : عطشت في الطريق إليك. شمس الدين : والآن ماذا تريد؟ الأعمى : أريدك أن تدلني على ذلك الفقير الذي وهبته الخاتم، حتى أشتريه منه. شمس الدين : هو واحد من فقراء الله، وهم كثيرون في أرض الله، فكيف أعرفه حتى أدلك عليه؟ الأعمى : أسرار ما كتب من أسماء على الخاتم لا يمكن أن تضيع مني، إن وراءها كنزا من أكبر كنوز الدنيا. شمس الدين : لا شأن لي

بالكنوز. وأنا كما ترى أرتاح بجوار قبوري. الأعمى : أطلب لك الراحة من الله، وسأذهب للبحث عن الخاتم. شمس الدين : رافقتك السلامة. ( يخرج الأعمى من الخشبة. تسلط الأضواء على ابن جزي وهو يخط بأنامل إصبعه على الورق. موسيقى الشعوب.) شمس الدين : الكنز؟ يقول الكنز. كنوز كثيرة وجدت في رحلاتي الثلاث. ولكن لكل واحد في هذه الدنيا كنزه. أنا كنزي ما شاهدت في غرائب الأمصار وما سمعت من عجائب الأخبار. أذكر التنبول والنجيل والحجر النازل من السماء. في مدينة لار رأيت فقراء لا كالفقراء، ومشيت في أرض الظلمة وهي أرض لا شمس تشرق فيها ولا قمر يطلع في سماءها. وبطيخ خوارزم، وعجبي من العربات التي رأيتهم يسافرون فيها، فهي عربات ذات عجلات أربع يتقدمها تمثال له وجه رجل وجسد بقرة أو جمل. والخاتون، ملكة مزينة بالحرير والذهب، وزيرتها تدعى أولو خاتون، وحاجبتها تدعى كجك خاتون. خاتون. أولو خاتون. كجك خاتون. ابن جزي : استمر يا شمس الدين . شمس الدين : هل أنت هنا؟ ألم أقل لك إن زمانك قد مضى، ورحم الله مولانا السلطان أبا عنان المريني، والرحمة علينا جميعا. فماذا تريد أيها الكلبى، يا ابن جزي؟ ابن جزي : أنا فقد أريد أن أدون ما . . . شمس الدين : ألا تتركني أستريح بجوار قبوري؟ ابن جزي : ولكن أنا أدون كل ما تقول . شمس الدين : دون أولا تدون. ابن جزي : أنت غاضب مني يا شمس الدين. شمس الدين : لا أحب من يكتبون بالنيابة، فهم كتاب مأجورون. ابن جزي : وما العمل يا شمس الدين وأنت قد شلت يدك فلم تقو على أن تعيد كتابة رحلاتك بنفسك. شمس الدين : ما كانت ثمة من حاجة لإعادة كتابتها، وخاصة بواسطة كاتب مأجور مثلك. ابن جزي : ولكن مولانا السلطان كان قد أمرني بذلك، وكان يرغب في الاستفادة من خبرتك بالبلدان التي رحلت إليها. شمس الدين : ذلك كان. والآن اتركني وشأني. (تسلط الأضواء على شمس الدين، بينما لا يظهر ابن جزي إلا وسط ضوء خفيف. موسيقى الشعوب، ترتفع ثم تخفت.) شمس الدين : كم تزوجت من النساء في أسفاري ولكني لم أتزوج خاتونا ولا أولو خاتون ولا حتى كجك خاتون. لا الملكة ولا الوزيرة ولا الحاجبة. لكني رأيتهن وكن فائقات الجمال متناهيات الكمال، فحقق قلبي لهن، ولكني رجل تقوى وعبادة وحرص على الحلال في المأكل والمنكح، وللنساء في تلك الأرض روائح كأنها الفواكه المجتناة، والنساء ثمرات. (لحظة صمت) (موسيقى) شمس الدين : الخاتون، ثياب من حرير وريش للطواويس، وثياب الحرير مرصعة بالجواهر، وعلى الرأس مقنعة حرير مزركش الحواشي بالذهب والجواهر. أنا الحاج الورع النقي حينما رأيتها شممت رائحة الأرض وهي تتنفس، جعلت من الفتيان الروميين والهنديين أزواجا للجواري، فالعادة التي اعتادتها هي ألا يدخل بين الجواري إلا من كانت له زوجة بينهن، ومع ذلك فقد طلبت الإذن فأذنت لي بالدخول عليها، ووجدتها تقرأ القرآن الكريم، بينما تحيط بها عشرون من النساء يطرزن الثياب، فسلمت عليها وأحسنت في رد السلام كما أحسنت في الكلام. ( يسلم الضوء على ابن جزي، وهو جالس على الكرسي، وبين يديه الكتاب الكبير يخط فيه بأنامل سبابته) ابن جزي : أي كلام؟ أي كلام دار بينك وبين الخاتون يا شمس الدين؟ شمس الدين : أنت ما تزال هنا؟ ما شأنك بالكلام الذي يمكن أن يدور بين رحالة هو أنا وبين خاتون؟ ابن جزي : أنا أكتب عنك. شمس الدين : وهل كل ما يعاش يكتب أيها الكلبى؟ ابن جزي : أنا لا أفهم في هذه الأمور، ولكن مولانا السلطان أبا عنان أمرني . . . شمس الدين : قلت لك رحمة الله عليه وعلينا جميعا، فالزمان غير الزمان، وإنما أنا أقص هذه الحكايات على هذا الجمهور. ابن جزي : أي جمهور؟ شمس

الدين : جمهور هذه المسرحية. ابن جزي : مسرحية ؟ شمس الدين : إنها تحفة النظر.  
وها هم النظر. ابن جزي : لا أراهم. ولكن أخبرهم بأنك لم تتجراً على طلب يد الخاتون،  
حتى وقد أحسنت إليك في السلام والكلام. ( موسيقى الشعوب. الأضواء تخفت بالتدريج.  
ظلام. ) المشهد الخامس (سوق الغناء. دكاكين صغيرة تقام على شكل مقصورات، وبداخل  
كل دكان مهد يتهادى، تجلس بداخله فاتنة حسناء، مزينة الوجه، ناعمة الجسد الذي يتغلل  
بغلالة شفافة بلون من الألوان. تجار يجلسون بأبواب تلك الدكاكين. على يسار الخشبة  
صومعة، توجي بوجود مسجد بسوق الغناء. على يمين الخشبة ديكور لزقاق شعبي شرقي.  
شمس الدين يدخل من يمين الخشبة، ويتجول في السوق. إيقاعات موسيقية. الحسناوات  
يتهادين في المهود. شمس الدين يقترب من أحد التجار. ) شمس الدين : ما اسم هذا  
السوق؟ أحد التجار : اسأل أمير الغناء، فهو أمير هذا السوق. شمس الدين : وأين هو؟  
التاجر يشير إلى شاب جالس بباب أحد الدكاكين، يعتمر عمامة عليها ياقوتة خضراء.  
شمس الدين يقترب من أمير الغناء. ) شمس الدين : أيها الأمير، السلام عليكم. أمير  
المغنين : وعليكم السلام ورحمة الله. هل تريد مغنية؟ شمس الدين : بل أعرفك بنفسى، فأنا  
غريب، وأريد أن أعرف كل شيء عن هذا السوق. أمير المغنين : وأنا أمير المغنين  
والمغنيات، وهذا هو سوق الغناء، ومدينة أباد تشتهر به، فقد أحسنت بزيارتنا في السوق.  
شمس الدين : أهو سوق للجواري؟ أمير المغنين : كلا، وبلى، فهن لسن جوار عاديات، بل  
هن مغنيات، تدرين على أصول الغناء، وأصواتهن رخيمة عذبة ولهن حفظ للألحان.  
مطربات يزلن الوخم عن القلب، ويبعثن في الصدور فرحا وانشراحا، وغناؤهن يسبي  
العقول. شمس الدين : ولماذا هن مهددات في المهود؟ أمير المغنين : جرت العادة بأن  
يكن على هذه الحال. هل ترغب في أن تقتني مغنية؟ شمس الدين : كلا، فأنا مجرد رحالة،  
حاج تقي ورع، جالست الفقهاء والعلماء والقضاة، أزور البلدان وأرى ما فيها من أشياء  
عجيبة وغريبة، فكيف أشتري مغنية؟ أمير المغنين : رحالة؟ وما هو أصل بلدك؟ شمس  
الدين : طنجة في المغرب. أمير المغنين : أيها المغربي مرحبا بك في مدينة دولة أباد، وفي  
سوق الغناء. شمس الدين : الترحيب بالغريب دليل على الكرم، والمحبة والإخاء بين  
البشر. أمير المغنين : والغناء الذي تغنيه المغنيات، هو محبة، وصفاء للروح، ونسيان  
للأحقاد بين البشر. شمس الدين : ما أجمل كلامك يا أمير الغناء والمغنيات! أمير المغنين :  
وما أطف زيارتك لسوق الغناء، لتكون مخبرا عنه أهل البلدان التي ستزورها. ولكن قل لي  
: هل الغناء حلال أو حرام؟ شمس الدين : فتاوي الفقهاء الذين لقيتهم تحلله إذا كان فيه  
نقاء للروح، وصفاء في الكلام والموسيقى، وإذا كان فيه ما لا يغضب الخالق، وتحرمه إذا  
كان منحط الكلام ساقط الأوزان قبيح المرمى في النفس صفيق المعنى في العقل، فأوله  
حلال وثانيه حرام. أمير المغنين : نحن نخاطب الأرواح بالغناء، وحتى وإن كانت لدينا  
مغنيات، جميلات الجسد والمظهر، فهن قادرات بالغناء على الارتقاء بالأرواح إلى سدرة  
منتهاها. شمس الدين : سبحان الله خالق هذه الأشياء الجميلة في الكون. أمير المغنين :  
ولدينا مسجد للصلاة في سوقنا هذا. ( يشير بيده إلى الصومعة. ) شمس الدين : يقبل الله  
صلاتكم، ولكن لماذا المغنيات في المهود متزينات وشبه عاريات؟ أمير المغنين : العادة  
هكذا أيها المغربي. الأئمة يصلون بنا التراويح في شهر رمضان، وإذا مر سلطان من  
سلاطين الكفار بهذه السوق فالمغنيات تغني له، وبالغناء طلبن له الهداية. شمس الدين :  
ومتى يغنين؟ أمير المغنين : تنتظر إن شاء الله تعالى إلى ما بعد صلاة العصر، فمن حسن



حظك أيها المغربي أنك قد أتيت السوق في يومنا هذا الذي هو يوم خميس، فالمغنيات لا يغنين إلا بعد صلاة العصر من كل خميس. شمس الدين : من حسن حظي بالفعل. أمير المغنين : مرحبا بك مرة أخرى. تفضل واجلس. (أمير المغنين يفسح مجالاً لشمس الدين، بحركات مؤدبة، ويجلسه على كرسيه). أمير المغنين : إن كان على الصلاة فبجوارك المسجد، وأما الطعام فسيأتيك به أحد خدامي، وفي صلاة العصر نلتقي إن شاء الله في المسجد، وبعد الصلاة تسمع الغناء. ( ينسحب إمام المغنين من الخشبة. ينسحب التجار من أبواب الدكاكين. يبقى شمس الدين جالساً على الكرسي، وهو يتطلع إلى معالم السوق. تسلط الأضواء على المغنيات وهن يتأرجحن في المهود. يظهر شمس الدين وهو مسبي بالروية في اتجاههن، وهو ينظر إلى الصومعة). شمس الدين : في هذا المسجد صليت الظهر، وقد جاءني رسول أمير الغناء بطعام ما أكلت أذ منه، فلم أعرف أهو من لحم أو بادنجان، أو هو من كبد خروف أو زيتون أو بقول، فقد كان في الطعام طعم لحم، ولكني لم أجد أليافاً للحم، بل ما يشبه الخضراوات. وجاءني الرسول بشراب ترددت في شربه، ولما كان واقفاً على خدمتي فقد قال لي إنه حلال، مزيج من فواكه مجتناة وهو مسهل للهضم، فذقت منه وما ذقت أذ منه. ولما جاءني الرسول بطست ماء فغسلت يدي فقد توجهت نحو مسجد سوق الغناء، وفيه وجدت مكاناً للوضوء، فتوضأت وصليت الظهر وانتظرت حتى جاء أمير الغناء فوقف بجواري لصلاة العصر، ومن المسجد خرجنا إلى سوق الغناء. في الطريق حدثني عن الإيمان بالله، وعن التسامح بين الأديان، وعن ضرورة المحبة بين الشعوب، وبقي حائراً لما سألته عن عري المغنيات وتبرجهن، وعدم ارتدائهن للحجاب، ولكنه قال لي إن الله يوجد في سراير الناس، لا في الظواهر، ومن كان له إيمان في قلبه فهو يعصمه من الخطأ، وليس الحجاب ما يعصم من ذلك. قلت له هن جوار مغنيات. فقال لي وغناؤهن للأرواح لا للأجساد. نحن لا نبيع في سوق الغناء أجساداً بل نبيع غناء للأرواح. (صمت. موسيقى روحية دون صوت غنائي شمس الدين وأمير المغنين في سوق الغناء). أمير المغنين : قلت لي إنك مغربي، ولم تذكر اسمك. شمس الدين : أنا محمد اللواتي، كنيتي أبو عبد الله، ولقبني ابن بطوطة، والناس يعجبهم أن يسموني شمس الدين. أمير المغنين : أهو أنت؟ زارتنا البركة. لقد سمعنا عنك. مرحباً. لن تذهب من هنا حتى نكرمك بخير ما عندنا. (حفل غناء في السوق، وحيث تنهض المغنيات من أراجيحهن، ويستوين في ساحة السوق، ليغنين غناءً روحياً جميلاً). أمير المغنين : قل لي يا شمس الدين، هل غناؤهن حلال؟ شمس الدين : غناؤهن حلال، ولكن عريهن مفسد للدين، لأنه منفض للوضوء. أمير المغنين : تلك عاداتهن. وما رأيك في أن نكرمك بواحدة منهن، تغني لي في الرحلة، وإن شئت أن تتسرى بها فهي حلال عليك. شمس الدين : شكراً لك أيها الأمير. لن أجد في الرحلة ما أضمن لها به عيشاً وقيراً. أمير المغنين : أردنا أن نكرمك بها أيها المغربي، والرأي لك. ستبت عندنا هذه الليلة وسنجهز لسفرك كل ما يحتاج له، فأنت في دولة أباد. ( غناء المغنيات. إيقاعات عيدان. ظلام يعم الخشبة بالتدريج). الفصل السادس ( مجلس ملك هندي. الملك على رأسه عمامة تتوسطها ياقوتة لامعة، ويروح على وجهه خادمان بمروحتين. على يمين الخشبة يجلس رجل أعور العين اليسرى، وعلى يسارها رجل أعور العين اليمنى. موسيقى هندية، ترتفع ثم تخف بالتدريج. يدخل شمس الدين). شمس الدين : السلام على مولانا السلطان. السلطان : وعليك السلام يا شيخ شمس الدين. مرحباً بك في ديارنا. شمس الدين : الشكر لكم أيها الملك المعظم. ( يتطلع شمس

الدين إلى الأعرين ويبدو عليه الارتباك. يشير له السلطان بالجلوس على كرسي فيجلس، ويظل يتطلع إلى الأعرين مستغرباً) السلطان : (مشيراً إلى أحد الأعرين) هذا قاضي المدينة. (ثم مشيراً إلى الثاني) وهذا كبير الشرفاء. شمس الدين : حصل لنا شرف المعرفة يا مولانا السلطان. (الأعران يطلان على بعضهما من مكان جلوسهما، أحدهما يضحك والآخر يخزر. شمس الدين يتطلع إليهما باستغراب). القاضي : كفى. لا تنظر إلي هكذا. ألا ترى أن مولانا السلطان لديه ضيف؟ كبير الشرفاء : ولماذا لا أنظر إليك؟ (يضحك) ألسنت تشبهني في كل شيء؟ القاضي : أنت تشبهني؟ في ماذا؟ ألسنت أنا قاضي المدينة؟ كبير الشرفاء : أعرف أنك القاضي. القاضي : الزم حدود الأدب، فنحن في مجلس مولانا السلطان. كبير الشرفاء : نحن في مجلسه الموقر، ومولانا السلطان كامل الصورة، يرانا بعينه معاً، وكذلك ضيفه المبجل. القاضي : وأنت هل ترانا بعينين أم بعين واحدة؟ كبير الشرفاء : أنا أعور مثلك، ولكني أفضل منك. القاضي : في ماذا؟ كبير الشرفاء : في العدل والكرم والإخاء. القاضي : وهل تطعن في عدالة قضائي بين الناس؟ كبير الشرفاء : لم تتحدث عن الكرم فبذلك معروف لدى الناس، ولم تتحدث عن الإخاء فبغضك معروف بين أهلك وجيرانك، وأما العدل فلك أن تحكم أمامنا في قضايا الناس لنرى هل ستعدل بينهم، لكن المعروف عنك أنك لا تعدل بين زوجاتك، وحتى بين أولادك. القاضي : وأما أنت فوارث شرف لا تفعل به، وإلا لما كان لك لسان كلسانك، يرمي الناس بسهام مسمومة. (يضحك السلطان، ويبدو الغيظ على وجهي القاضي وكبير الأشراف، بينما يظهر التعجب على وجه شمس الدين) السلطان : (لشمس الدين) من غلب منهما الآخر أيها الضيف المبجل؟ شمس الدين : (حائراً) والله لقد هجا كل واحد منهما الآخر. السلطان : والغلبة لمن؟ شمس الدين : أنا ضيفكم يا مولاي، ولا أستطيع أن أتدخل في هذه الأمور. ثم إنني لم أفهم شيئاً من هذا الموقف. السلطان : (ضاحكاً) عرفت أنك لم تفهم، فقد وجدتنا في جلسة للممازحة، ولقد دخلت علينا فوجدت هذين الأعرين يتباريان في هجاء بعضهما. وأنا أجزى كبير الشرفاء. (يهتف كبير الشرفاء بحياة الملك. يدخل خادم ويقدم للسلطان أوراقاً كبيرة الحجم، بحجم الصحائف، يقدمها للسلطان، والسلطان يقدمها لكبير الشرفاء. يظهر الغيظ على وجه القاضي. موسيقى هندية). شمس الدين : وما هذه الأوراق يا مولاي؟ السلطان : هذه دراهم الكاغد، وهي عملتنا، وعليها ختمنا. شمس الدين : دراهم الكاغد؟ السلطان : أجل، وفي بلدكم أليست لكم دراهم من الكاغد مثلها؟ شمس الدين : في بلدنا يا مولاي نحن نسك الدراهم من الذهب أو الفضة أو من المعادن الرخيصة، بحسب قيمتها، وعليها نقوش وختوم. السلطان : دراهم مسكوكة؟ هل لديكم دار لسك النقود؟ شمس الدين : لدينا يا مولاي. السلطان : سأبحث في أمر أن نسك دراهم بدل هذه الدراهم من الكاغد التي أختم عليها بنفسني. وأما دراهم الكاغد التي شاهدتها فلقد كافأنا بها هذا الوغد، السليط اللسان، على سلطة لسانه، وأما أنت يا شيخ شمس الدين فسنهبك أحمالاً من اللبان والكافور والعود الهندي نضعها فوق السفين الذي ستركبه، وسنهبك ما يعينك على المضي في السفر. شمس الدين : الشكر لمولانا السلطان، دام له العز والتمكين. السلطان : لكننا ننتظر أن نخبرنا بما رأيته في البلدان التي مررت بها من عادات للقوم وأنواع للديانات وأشكال للباس والطعام. شمس الدين : أمرك أيها السلطان. ولكن من أين أبدأ، فلقد رحلت رحلات ثلاثاً رأيت فيها الكثير، وجبت فيها الأمصار، كما سمعت الكثير من عجائب الأخبار؟ القاضي : (وهو يطل على شمس الدين بعين واحدة) ابدأ مما بدأت به السفر. شمس الدين

: وهل أحكي كل ما عشت وما رأيت وما سمعت في رحلاتي؟ إن ذلك يتطلب أياما أو شهورا أو أعواما. كبير الشرفاء : ( وهو يطل على شمس الدين بعين واحدة) بل حدثنا عن بلاد مصر وبحر النيل، أو عن شيراز وخراسان. السلطان : دعاني أيها الأعوران أسمع من رحالة المغرب، فهو فصيح اللسان دقيق العبارة جياش الأفكار. إيه. حدثنا يا شيخ شمس الدين. ولكن قبل أن تحدثنا ليس عليك أن تصدق أن هذا (يشير إلى القاضي) هو قاضي المدينة، وأن هذا ( ويشير إلى كبير الأشراف) هو كبير الأشراف، فهما مضحكان من بين مضحكين آخرين لجلالتنا. والآن ابدأ لنا قصة رحلاتك. شمس الدين : كنت فتى من مدينة طنجة يا مولاي، أدركني التقوى والورع، فأردت أن أسافر بنية الحج إلى بيت الله الحرام، ومن طنجة ذهبت إلى . . . (يتباطأ الصوت في الحوار الأخير، ويصبح له صدى في المسرح. موسيقى هندية. تخفت أضواء الخشبة حتى يعم الظلام). المشهد السابع ( الضريح الذي هو قبة خضراء تشبه زهرة، وريقاتها مضمومة ولكنها قابلة لأن تتفتح. موسيقى روحية. الوريقات تتفتح تحت أضواء ملونة، ثم تغلق، وتتفتح من جديد. شمس الدين وابن جزي يجلسان بجوار الضريح. يرتديان ملابس بيضاء، ويعتمران عمامتين بيضاوين. ابن جزي يضع بين يديه كتابه الضخم، ويتظاهر بحركات خط بأمل سبابتها). شمس الدين : ما الذي تخطه يا ابن جزي؟ ابن جزي : أنا يا شمس الدين أخط خاتمة الكتاب. شمس الدين : خاتمته؟ وأين هو أوله؟ ابن جزي : أوله لا آخر له يا شمس الدين، ومولانا السلطان أبو عنان يريد الكتاب ليطلع على ما فيه مما رأيت وسمعت وعشت. شمس الدين : ولكن أين أنا الآن؟ ابن جزي : أنت في فاس المحروسة، وفي حاضرة سلطانتها مولانا أبو عنان المريني. شمس الدين : وهل أنا من رحل تلك الرحلات؟ ابن جزي : هو أنت يا شيخ شمس الدين. شمس الدين : وهل كتبت عني ما رأيت وعشت وسمعت؟ ابن جزي : بما قدرت عليه، فمولانا السلطان يريد أن . . . شمس الدين : مولانا السلطان أراد ما أرد في حكمه وسياسته للدولة، فما الذي يريد من رحلاتي؟ ابن جزي : أنا مأمور يا شيخ شمس الدين، ولا أستطيع أن أجيب بدل السلطان، أو أن أعصي له أمره. شمس الدين : موظف. أنت موظف عند السلطان، في ديوان الكتابة. ابن جزي : لا أخالفك الرأي يا شيخ شمس الدين. ولكن لا تنس أن ما لخصته من تقايدك قد انتهى، فلا يخفى على ذي عقل أنك رحالة العصر، وها قد اتخذت من فاس مستقرا وموطنا بعد كل ذلك التجوال في الأقطار والأمصا. شمس الدين : وطنجة؟ لا بد من طنجة وإن طال السفر. ابن جزي : أنت شيخ يا شمس الدين، فأني عود إلى طنجة وأنت لا تقدر على وقوفك؟ شمس الدين : تحسبني كذلك، وأنا لا بد إن شاء الله راجع إلى طنجة، وإن طال السفر، فقد غادرتها كما يغادر الطير وكره، والطير لا بد يعود. ( ينهض شمس الدين، ويرسم بذراعيه حركات طائر . يبدو وكأنه يطير. تتفتح الوريقات التي هي وريقات زهرة تكون شكل قبة الضريح، ثم تغلق. موسيقى. يقف شمس الدين في مواجهة الجمهور). شمس الدين : أريد أوراقا التي صادروها مني. أريد أن أستعيد رحلاتي في الأوراق. أريد أن أبدأ رحلة رابعة من طنجة. أريد أن أموت في طنجة. طنجة. لا بد من طنجة وإن طال السفر. (موسيقى الشعوب. أضواء تغمر الخشبة. تتفتح وريقات الزهرة. شمس الدين يدخلها من جديد. تخفت الموسيقى تخفت الأضواء.)  
النهاية

## التاجر عبد الأحد والقراصنة

مسرحية للفتيان

شخصيات المسرحية

- 1) التاجر عبد الأحد : ( يرتدي قفطانا رمانيا ويعتمر عمامة خضراء تظهر منها ياقوته )  
براقة، وتتغير ملابسه بحسب المشاهد والمواقف
- 2) معاونو التاجر عبد الأحد
- 3) السارد: عجوز أبح، يرتدي ثيابا مهلهلة
- 4) ركاب السفينة : هنود وطلبان وشاميون وأنجليز، تتحدد هوياتهم من الملابس
- 5) الربان : عجوز سكير، يرتدي لباس الربابنة
- 6) القراصنة : عراة مرسومة على زنودهم الجمجمة والعظمتان المتقاطعتان، علامة الموت
- رجال الجمارك : مغاربة، يرتدون الزي الرسمي، كما كان في القرون الوسطى (7)
- 8) رواد المقهى الشعبي : كهول يرتدون ملابس التجار من حرير وطيلسان، وعمائمهم عليها يواقيت حمراء. ويمكن لنفس الممثلين أن يؤديوا أدوار المعاونين والقراصنة ورجال الجمارك وتجار المقهى بتغيير الملابس وتقمص تلك الشخصيات

تأثيث الخشبة

- في وسط الخشبة باخرة من حولها شباك للصيد، تسلط عليها أضواء ملونة، يظهر اسمها بحروف كبيرة على جانب، وهو (أطلنيد)، وعلى الجانب الآخر، يظهر اسمها بحروف كبيرة، وهو (الحوث الأزرق)، وحيث يتم قلبها من وجه لآخر فتلعب دور باخرتين، إحداهما للذهاب في السفر، وأخر للإياب منه. • على يمين الخشبة خيول من دمي، بحجم أقرب إلى الخيول الحقيقية، وحيث سيركبها معاونو التاجر عبد الأحد. • صناديق كبيرة ذات وجهين، وجه تكتب عليه عبارة : بضاعة مصدرة، وآخر تكتب عليه عبارة : بضاعة مستوردة، وحيث يستعملان لأنواع البضاعة التي يصدرها التاجر عبد الأحد في ذهابه،

والأخرى التي يكون قد استوردها مع عودته إلى ميناء طنجة. • ديكور لفضاء المقهى الشعبي، وهو عبارة عن لوح خشبي يشكل الجدار المواجه لمدخل المقهى، يظهر منه الوجدان وقبضات من النعناع وكؤوس مصفوفة وكراس ذات ثقوب توضع عليها كؤوس الشاي، وحصر للجلوس. • أشجار اصطناعية تستعمل في أوقات استراحة التاجر عبد الأحد في الخلاء بين فاس وطنجة، خلال الذهاب إلى السفر، وفي هذه الحالة تقف بجوارها دمي الخيول. • مؤثثات أخرى توحى بعالم البحر، أسماك اصطناعية ملونة، قواقع... وأخطبوطيات

### المشهد الأول

.الخشبـة وعلـيها كل أنوع الديقورات السابـقة (

.موسيقى توحى بعالم البحر

. (هدير أمواج

السارد يتربع على الأرض، في وسط الخشبـة، وفي يده قضيب معدني، كحيل العينين، معكر

(الوجه، بما يجعله شبيها بمهرج

السارد : مرحبا بالأشبال. مرحبا. هذا مسرح خاص بكم، عالم صغير ولكنه عالم كبير.

المسرح هو الفرجة. ياكو؟ متفقين؟ وإذن فسوف نتفرج جميعا، على تاريخ مضى، لنعرف

كيف كان التجار لا يحصلون على رزقهم في القديم، إلا بشق الأنفس. وكل ربح له جهد،

وعناء، وتعب، وتعريض للنفس للتهلكة. التجار المغاربة لم يكونوا يحصلون على الثروة

بسهولة، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم، من أجل أن تكون لبلدنا تجارة مع الخارج. لدينا ما

نصدره، ولدينا حاجة إلى الاستيراد. ياكو. تعرفون ما هو التصدير وما هو الاستيراد؟

.تجارة عالمية، بين بلدنا وبين دول الخارج

.ينهض السارد من مجلسه، وفي يده القضيب المعدني يلوح به (

.موسيقى

. (السارد يضرب بالقضيب المعدني بحركات في الفراغ، كأنها سحرية

السارد : وكان يا أشبال، كان حتى كان، وكان الله في كل مكان، واحد التاجر اسمه عبد

الأحد، كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، وكان شجاعا قويا لا يخاف الصعاب،

بل يتمنى وجودها ليختبر قوته وشجاعته. وهذا هو التاجر عبد الأحد، فاسي مغربي،

سيسافر إلى البندقية، وهي مدينة محمولة فوق الماء، وفيها سيبيع ويشترى، وفي طريق

عودته، سيعرض القراصنة الباخرة. ماذا سيفعل؟ هل يستسلم؟ سنرى ما سيفعل مع

.القراصنة

يدخل التاجر عبد الأحد الخشبـة من الجانب الأيمن. حركاته فيها أبهة واعتداد بالنفس. (

.الياقوتة تلمع فوق جبينه

.يقف بجوار ديكور يوحى بمنزل فاسي تقليدي

. (يدخل معاونوه

التاجر عبد الأحد : هل أعددتكم كل شيء للسفر؟

.أحد معاونين : البضاعة جاهزة في الصناديق. (يشير إلى الصناديق في زاوية الخشبـة)

.معاون آخر : والجياد أعدناها، وزاد السفر إلى طنجة (يشير إلى الجياد)

التاجر عبد الأحد : (لأحد المعونين) وأنت، هل قمت بكل ما ينظم شؤون البيت خلال سفري

.المعاون : كما أمرت يا سيدي عبد الأحد

التاجر عبد الأحد : أعددت ما يكفي من الطعام؟

.المعاون : أعددته يا سيدي

التاجر عبد الأحد : وحراسة المنزل من السراق؟

.المعاون : هناك من سيقوم بها. اطمئن يا سيدي

التاجر عبد الأحد : والمربي الذي سيشرف على تربية وتعليم أولادي؟

.المعاون : سيحضر كل يوم يا سيدي

أحد المعونين : كل شيء جاهز لسفرك السعيد يا سيدي، كما تعودنا أن نقوم به في

.أسفارك السابقة

التاجر عبد الأحد : بارك الله فيكم. أنتم أعواني. وإن كانت التجارة مربحة في هذا السفر،

.فسأضعف من أجوركم

.أحد المعونين : أنت في كل سفر تعود منه بالسلامة تغدق علينا من الخيرات

.معاون آخر : بارك الله في سفرك، وتعود إن شاء الله بالسلامة

.التاجر عبد الأحد : إن شاء الله. السفر قريب، فلا علينا أن نضيع الوقت

أحد المعونين : وإلى أين في هذا السفر إن شاء الله؟ إلى الصين أن إلى بلاد الهند، أم إلى

إفريقيا؟

.التاجر عبد الأحد : إلى إيطاليا إن شاء الله، إلى البندقية

أحد المعونين : البلور؟ هل ستأتي بالبلور في هذه المرة؟

التاجر عبد الأحد : الحرير كثر تجاره وهم يأتون به من الهند، ولدينا في دار السلعة منه

الكثير. التاجر الذكي هو من ينوع من البضاعة، وكلما كانت نادرة في الأسواق إلا وكان

ربحه وفيرا

.موسيقى إيطالية)

.المعاونون يحملون الصناديق على ظهور الخيل

.الخيل تتحرك مدفوعة على عجلات وفوقها الصناديق

يبدو المنظر أشبه بقافلة تجارية، وعبد الأحد يمتطي جوادا، يتقدمها، وهي تدرع الخشبة

. (ذهابا وإيابا، بما يوحي بالسفر

السارد : هل عرفتم ما يحدث الآن أيها الأشبال؟ القافلة تتجه من فاس إلى طنجة، وتسلك

.طرقا وعرة، تسير بالنهار وتستريح بالليل، في الخلاء

يظهر المعاونون وهم ينزلون الصناديق من ظهور الجياد، ويجلسون تحت شجرة، (

.لتناول الطعام. يقدمون العلف للخيل

.التاجر عبد الأحد يتناول طعامه مع مساعديه، بحركات بطيئة وهو سارد

. (صوت الريح وهي تعصف

أحد المعونين : (للتاجر عبد الأحد) فيم تفكر يا سيدي؟

التاجر عبد الأحد : أفكر في تنظيم السفر. فعدا نصل إلى طنجة، ومنها سأشتري تذكرة

.السفر في أول باخرة أجدها ستذهب إلى البندقية  
.أحد المعاونين : وسنساعدك على حمل السلع حتى تضعها في مخازن الباخرة إن شاء الله  
التاجر عبد الأحد : أما في البندقية، كما في كل الموانئ، هناك حمالون يتكفون بهذه  
المهمة. والصبر يساعد على تحمل المشقة  
.أحد المعاونين : صدق يا سيدي من قال : السفر قطعة من جهنم  
التاجر عبد الأحد : اسأل المجرب. وعلينا الآن أن ننام قليلا، وليبق أحدكم للحراسة، فقطاع  
الطرق في كل مكان، وهم يترصدون طريق القوافل  
.أحد المعاونين : سيوفنا في أيدينا، وسنتناوب على الحراسة  
صغير رياح )  
.ضوء خفيف يظهر منه أعضاء القافلة وهم نيام  
ضوء يوحى بانبلاج الصباح  
.أعضاء القافلة ينهضون من أماكن نومهم  
المعاونون يضعون الصناديق على ظهور الخيل  
( القافلة تسير، على ضوء الفجر، وهي تزرع الخشبة ذهابا وإيابا  
الساد : ها هي طنجة، عروسة الشمال، وها هي القافلة الآن تصل إلى (فندق الشجرة)،  
وهو نزل لإقامة المسافرين، يخصص طابقه السفلي للدواب والخيول، وطابقه العلوي الذي  
به غرف للنوم، لاستقبال النزلاء. التاجر عبد الأحد حريص على صناديق البضاعة التي  
سيبيعها في البندقية، وفيها كل ما كان يصدره المغرب في ذلك الوقت، من صوف مغزول  
وتمور وسكر مكرر وأشياء أخرى. وطنجة مدينة رائعة، ولكن التاجر عبد الأحد لا يجد  
الوقت للتجول فيها، وها هو يستيقظ في الصباح الباكر، ويخرج من (فندق الشجرة) ليذهب  
نحو المرسى، لشراء تذكرة السفر  
زعيق بواخر)  
.أصوات موج هادر  
التاجر عبد الأحد يقف وسط أناس يتكلمون بعدة لغات  
لغظ وازدحام  
الأضواء تسلط على الباخرة، ومن جانبها الذي كتبت عليه عبارة (أطلنتيد)  
يبدو معاونون وهم يحملون الصناديق، وحيث تظهر عليها عبارة (تصدير) ويضعونها  
داخل الباخرة  
زحام وأصوات بلغات متعددة  
حركات التاجر عبد الأحد قلقة  
: يقترب من معاونيه ليودعهم  
التاجر عبد الأحد : أعاننا الله جميعا، ومنزلي وأهلي أمانة في عنقكم  
أحد المعاونين : نفي بالأمانة إن شاء الله  
معاون آخر : تذهب سالما وتعود غانما  
التاجر عبد الأحد : وبيع البضاعة في دار السلعة يجب أن يبقى كما كان  
أحد المعاونين : وكأنك حاضر

التاجر عبد الأحد : ستعودون بالخيل إلى مرابطها في فاس. وأنا عرفت موعد رجوع باخرة اسمها (الحوت الأزرق)، وعلى متنها سأعود إن شاء الله، وهي ستصل إلى مرسى طنجة في يوم الجمعة الأخير من الشهر القادم، فعليكم أن ترجعوا من فاس ومعكم الخيل لتنتظروا رجوعي.

أحد المعاونين : ترجع بالسلامة إن شاء الله، وسنكون في المرسى في انتظارك.  
أحد المعاونين : قلت يوم الجمعة الأخير من الشهر القادم. سنكون في الميعاد إن شاء الله.  
معاون آخر : رافقتك السلامة

.هدير أمواج)

.موسيقى

.التاجر عبد الأحد يركب الباخرة

.أضواء تسلط على الباخرة

.زعيق بواخر

السارد : الباخرة ترحل، والتاجر عبد الأحد الآن يركب البحر، بما فه من أهوال ومخاطر. عواصف بحرية. دوار البحر. الرحلة تستغرق أياما في عرض البحر، يلتقي فيها التاجر عبد الأحد مع تجار آخرين، يتحدثون في شؤون التجارة، يحكون الحكايات، يضحكون، ويحاولون أن ينسوا متاعب السفر. لقد وصلت الباخرة بحمد الله. وها هو ميناء البندقية. الحمالون ينزلون بضاعة التاجر عبد الأحد إلى الميناء، الذي هو سوق تجارية دولية. لغات تتكلم مع بعضها، ولو بالإشارات أحيانا. التفاهم حول البيع والشراء قائم. التللف على بضاعات نادرة. المزاد. الأداء بالعملة الذهبية عند الشراء، والأداء بالعملة الذهبية عند البيع. تجار إيطاليون يشترون من التاجر عبد الأحد بضاعته. ألف. ألفين. خمسة آلاف.

(عشرة آلاف. كراسي سنيوري عبد الأحد

.موسيقى إيطالية )

.أصوات مزاد

. (عبد الأحد يعد بين يديه قطعا نقدية ذهبية، ويبتسم، والياقوتة تلمع فوق جبينه  
السارد : والآن وبعد أن باع بضاعته سيشتري بضاعة أخرى. البندقية مدينة رائعة، ولكن التاجر عبد الأحد لا يجد الوقت للتجول فيه، فهو يرغب في شراء بضاعة أخرى يعود بها إلى فاس، وهو يتجول في الأسواق، ويساوم، ويختبر أنواع البضاعة وجودتها، ويفكر في حاجة السوق المغربي إليها. تاجر. أليس كذلك؟ إنه يمتلك حس التجار، وهذا ضروري ليكون تاجرا، وإلا لكان شيئا آخر. هل فهمت معنى كلامي يا أشبال؟ كل إنسان لا يتقن مهنته فهو معرض للإفلاس. وها هو التاجر عبد الأحد. انظروا إليه كيف يتجول وسط البضاعة وهو موسوس، قلق، لا يغامر، يحسب لكل شيء ألف حساب

.أصوات تزايد على البضاعة)

.لغط

. (موسيقى إيطالية

السارد : اشترى التاجر عبد الأحد البضاعة. وظل في مدينة البندقية ينتظر ميعاد العودة مه  
باخرة اسمها ( الحوت الأزرق



.تدار الباخرة التي على الخشبة ليظهر مكتوب على جانبها (الحوت الأزرق)

المشهد الثاني

.أصوات الموج (

.صفير العواصف البحرية

.حركات الركاب مضطربة فوق السفينة

.أضواء تمثل الرعد والبرق

.الساد : يا إلهي. البحر هائج والسفينة تموج مع الموج، تصعد وتهبط

. (يتم تحريك السفينة فتظهر وهي تميل نحو مقدمتها ثم تميل نحو مؤخرتها)

الساد : هذا هو دوار البحر يصيب الركاب، ولكن انظروا إلى التاجر عبد الأحد ( يشير إليه

وهو فوق السفينة مع الركاب). قلبه ثابت، فقد تعود على أهوال البحر من كثرة الأسفار

.التي سافرها

.أحد الركاب : يا ويلي. ضاعت أرواحنا

.راكب آخر : يا ويلي. ضاعت بضاعتنا

.راكب ثالث : ستغرق السفينة

( همهمة وحركات مضطربة )

.الربان : أيها الركاب، لا تخافوا من هيجان البحر، ولكن هناك خطرا آخر يحدق بالسفينة

أحد الركاب : خطر؟

راكب آخر : وما هو هذا الخطر؟

.راكب ثالث : قل لنا أيها الربان ما هو هذا الخطر

الربان : ( يحمل بيده منظارا)القراصنة. أشاهد بالمنظار سفينتهم وهي تقترب من سفينتنا.

.أرى الجمجمة والعظمتين المتقاطعتين على سفينتهم التي تعلوها راية سوداء

أحد الركاب : راية سوداء؟ القراصنة؟

.راكب آخر : إذن سوف يسلبون تجارتنا، إن لم يسلبوا أرواحنا

راكب ثالث : وهل نستسلم لهم؟

التاجر عبد الأحد : لن نستسلم. هذه حرب يجب أن نخوضها للدفاع عن أرواحنا

.وممتلكاتنا

أحد الركاب : وكيف نخوضها؟

راكب آخر : وهل نقدر عليهم؟

.راكب ثالث : القراصنة لا يقدر عليهم أحد

.التاجر عبد الأحد : وإذن فأنتم مستسلمون لهم

أحد الركاب : أيها المغربي، إذا لم نستسلم فماذا علينا أن نفعل؟

.التاجر عبد الأحد : نقاوم، بل نهاجم

أحد الركاب : نحن نهاجم القراصنة؟

.راكب آخر : قل كلاما معقولا أيها المغربي

.راكب ثالث : ليست لدينا أسلحة، وهم يصلون ويجولون في البحر

.الربان : أرى سفينتهم تقترب من سفينتنا  
أحد الركاب : أنا تاجر هندي، مرة اعترضوا السفينة التي كنت أركبها، وقد رموا بي في  
.البحر، والبحر رماني إلى إحدى الجزر  
راكب آخر : وأنا تاجر شامي، لم أر القراصنة ولكني سمعت عنهم كل ما يفعلون بالسفن  
.التجارية  
راكب ثالث : وأنا تاجر يهودي، أموت الآن من الرعب  
التاجر عبد الأحد : اهدأوا أيها التجار. ليس لدينا وقت نضيعه في الكلام  
الربان : وماذا عليك أن تفعل؟  
التاجر عبد الأحد : (للربان) أنت مهمتك أن تقود الباخرة، وأنا دعني أواجه القراصنة  
أحد الركاب : تواجههم؟  
التاجر عبد الأحد : بل سنواجههم جميعا. لدي خطة  
أحد الركاب : خطة؟  
التاجر عبد الأحد : نحتاج إلى إطفائيين لإطفاء النار  
أحد الركاب : إطفائيين؟ لماذا؟  
التاجر عبد الأحد : القراصنة سيرمون سفينتنا بكرات نارية حارقة، لتشتعل النيران، فيبثوا  
الرعب في قلوبنا. وعلينا أن نكون مستعدين لإطفاء تلك النار  
الربان : ( ينظر في المنظار) القراصنة يطلبون منا أن نستسلم  
التاجر عبد الأحد : لن نستسلم  
الربان : وماذا سنفعل؟  
التاجر عبد الأحد : قلت لك أنت دورك هو قيادة الباخرة، وعلينا نحن الباقي. (يتجه نحو  
الركاب) ونحتاج إلى رماة يصيبون الأهداف، وإلى محاربيين بالسيوف، وإلى غواصين  
ينزلون إلى البحر لاقتحام سفينة القراصنة  
أحد التجار : ومن أين نأتي بهؤلاء؟  
التاجر عبد الأحد : نحن هؤلاء. في وقت الخطر على الإنسان أن يقوم بالمهام التي لم يتعود  
أن يقوم بها  
أحد التجار : هذا كلام صحيح  
تاجر آخر : إذا كان لابد من الموت فنحاول أن نموت شجعانا، أو أن ننفذ حياتنا وبضاعتنا  
تاجر ثالث : التاجر المغربي ينظم صفوفنا، وأنا رام  
التاجر الأول : وأنا محارب بالسيف  
التاجر الثاني : وأنا غواص  
التاجر عبد الأحد : قبل ذلك نحن في حاجة إلى إطفائيين. جهزوا سطول الماء لإطفاء كرات  
النار التي سيرمي بها القراصنة باخرتنا  
الربان : أخبرتهم بأننا لن نستسلم، ولم أرفع راية الاستسلام البيضاء  
التاجر عبد الأحد : حسنا فعلت  
الربان : لكنني أعرض باخرتي للخطر  
التاجر عبد الأحد : لا تخف. كن شجاعا

تتساقط كرات نارية على الباخرة، والتجار يطفنونها بسطول الماء التي يملأونها من ( البحر )

السارد : الحرب بدأت. ها هم القراصنة يرمون (الحوت الأزرق ) بالكرات النارية. الركاب يطفنونها. ولاشك أن القراصنة يتابعون ذلك بمناظيرهم. يا للشجاعة! هذه حرب بين التجار والقراصنة. كرات النار تنطفئ ولا تشعل نيرانا في السفينة. هذا هو أول فشل للقراصنة. انظروا. هاهو التاجر عبد الأحد يقود هذه الحرب، بل ويقفز إلى البحر ومعه ثلاثة من الركاب، وهم مجهزون بالسيوف، وبحبال التسلق. وها هم يسبحون في اتجاه باخرة القراصنة. ثم انظروا. ها هم الرماة يرمون باخرة القراصنة بكرات النار، والباخرة تشتعل. وانظروا. ها هو القرصان الزعيم مهتاج، فلأول مرة يدخل الرعب قلبه، ويجب نفسه مهاجما بدل أن يكون هو المهاجم. الآن يتسلق التاجر عبد الأحد ومن معه باخرة القراصنة بالحبال، يصعدونها، يشهرون سيوفهم. زنود القراصنة قوية رسمت عليها الجمجمة والعظمتان المتقاطعتان، ولكن أجسادهم منخورة بشرب الخمر. التاجر عبد الأحد يطعن أحد القراصنة. الربان يتابع ذلك بالمنظار. أحد رجاله يطعن قرصانا آخر. التاجر عبد الأحد يياغت قرصانا من الخلف ويضع السيف في ظهره. القرصان يستسلم. التاجر عبد الأحد يقيد يديه بالحبال. التاجر عبد الأحد ورجاله يسعفون القرصانين الجريحين. التاجر عبد الأحد يشير بيديه للربان لأن يقترب ب ( الحوت الأزرق ) حتى تلتصق مع سفينة القراصنة. وها هو الجسر الخشبي يمتد بينهما. الربان يتدبر أمر ربط سفينة القراصنة ب (الحوت الأزرق). تسير (الحوت الأزرق) ومن خلفها سفينة القراصنة

(.فرح وتهليل بالنصر بين الركاب )

.أحد الركاب : أسرنا القراصنة

.راكب آخر : سلمنا بأرواحنا وسلمت بضاعتنا

.راكب ثالث : الحمد لله، وما حققناه هو بفضل التاجر المغربي الشجاع

.التاجر عبد الأحد : ذلك بفضل الله

الربان : لم أكن أتخيل ما حدث، فلا يمكن لركاب سفينة أن يحاربوا القراصنة ويأسروهم. هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل هذا. والحقيقة أنني كنت سأرفع الراية البيضاء. وأستسلم للقراصنة

.هدير الموج (

.موسيقى حماسية

.عناقات بين الركاب

(.ضحكات

أحد الركاب : وأين هو اليهودي الخائف، هل مات من الرعب؟

راكب آخر : وأين هو الشامي البطل؟

.راكب ثالث : بل أين هو المغربي البطل

السارد : وسارت (الحوت الأزرق) حتى وصلت إلى ميناء طنجة، ولما رست، ومن خلفها

سفينة القراصنة، فقد تعجب كل من كانوا في الميناء، وهرع رجال الجمارك ليعرفوا ما حدث . رأى التاجر عبد الأحد معاونه يقفون على الرصيف وهم يشيرون له بالأيدي، فرد .  
( على تحياتهم، لكنه كان مشغولا بشيء آخر، فها هم رجال الجمارك يصعدون السفينة .  
الريان : ( للتاجر عبد الأحد) أنت من سيسلمهم القراصنة  
التاجر عبد الأحد : لكنك أنت الريان  
الريان : وأنت من حارب القراصنة وأسره ، وأسر سفينتهم  
القرصان : أنت بطل أيها التاجر المغربي . سلمني بنفسك لرجال الدولة . ولكن رفقا  
بالقرصانين الجريحين  
أحد رجال الجمارك: من عادتنا أن نرفق بالجرحي، وأن نداويهم، لنسلمهم إلى العدالة

المشهد الثالث

المقهى الشعبي (

التاجر عبد الأحد وسط تجار فاسيين

في أيديهم كؤوس الشاي

( .موسيقى أندلسية

أحد التجار : وبماذا أتيت في هذه الرحلة يا تاجر عبد الأحد؟

التاجر عبد الأحد : لا تخف . إنني لن أنافسك في السوق

التاجر : بل أنت منافس خطير، فقل لنا بماذا أتيت؟

تاجر آخر : لعله قد أتى بالخز والديباج

تاجر ثالث : بل علينا أن نسأله إلى أين كان سفره، وسنعرف ما أتى به. ( لعبد الأحد) فإلى

أين توجهت في هذه المرة؟

التاجر عبد الأحد : إلى البندقية

التاجر الأول : وإذن فهو البلور

التاجر الثاني : وحدك ستبيعه في السوق، وستربح منه أموالا طائلة

التاجر عبد الأحد : ولكن بعد مشقة

أحد التجار : كل سفر في البحر هو مشقة

التاجر عبد الأحد : ولا هذه المرة

تاجر آخر : كيف؟

التاجر عبد الأحد : القراصنة

تاجر ثالث : القراصنة؟ ولم يسلبوكم البضاعة؟

التاجر عبد الأحد : قاومناهم وحاربناهم

أحد التجار : وهل هناك من التجار من يقوم القراصنة ويحاربهم؟

التاجر عبد الأحد : إذا توفرت العزيمة

أحد التجار : ولكن، نحن تجار ولسنا محاربين

التاجر عبد الأحد : الإنسان يحارب متى دعت الضرورة لذلك . وليس هناك من أحد خلقه الله

محاربا، بل الناس يحاربون عندما تدعو الضرورة

.تاجر آخر : كلام صحيح  
التاجر الأول : ولكن كيف حاربتم القراصنة؟  
.التاجر عبد الأحد : القصة طويلة  
.التاجر الثاني : وانتصرتم عليهم  
.التاجر عبد الأحد : بل أسرناهم  
التاجر الأول : بالله الشاهد العظيم، لن يدفع أحد ثمن هذه الكؤوس من الشاي، فأنا سأدفع  
ثمنها، والأكثر من ذلك، أنكم مدعون جميعا لبيتي، في هذه الليلة، لوليمة، وكل هذا على  
شرف التاجر عبد الأحد، وبعد الوليمة، سأطلب منه أن يحدثنا عما وقع في سفره مع  
القراصنة

. أحد التجار : قبلنا

.تاجر آخر : هذا من فضل الله ومن فضلك

.التاجر الأول : وإذن، فبعد صلاة العشاء أنتم ضيوف في إن شاء الله، في بيتي

(.موسيقى أندلسية )

السارد : وهكذا يا أشبال، يا أبناء هذا الوطن، ها هو التاجر عبد الأحد أمامكم. صفقوا له.  
هو آت من حكاية قديمة، يعرفها تجار فاس في العصور القديمة، ولكن كل قديم جديد، وله  
معنى.

(موسيقى أندلسية)

النهاية